الشيخ أكرم بركات

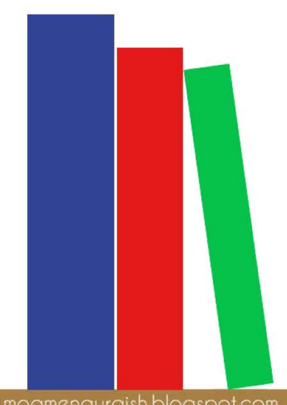
نِداءُ الرَّحِيل

المــوت والبــرزخ



سلسلة على منبر القائم (عج)






نداء الرحيل
الموت والبرزخ

اسـم الكتـاب: نداء الرحيل (الموت والبرزخ)

المـؤلـف: الشيخ أكرم بركات

النـاشـر: بيت السراج للثقافة والنشر

الطبعة الرابعة: بيروت - ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م

نِداءُ الرَّحيل

الموت والبرزخ

الشيخ أكرم بركات

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة على منبر القائم عجل الله فرجه الشريف

قضايا تلامس حاجة المجتمع

وتوضح برنامج سعادة الإنسان في

الدارين تناولها الشيخ أكرم بركات

على منبر مسجد القائم عجل الله فرجه الشريف في

الضاحية الجنوبية لبيروت ثم ألبسها

ثوبَ الكلمات المكتوبة بين يديك

عسى أن تكون محلاً للقبول.

مقدّمة الطبعة الثالثة

بتوفيق الله تعالى تمَّ تصحيح الكتاب في طبعته الثالثة هذه، لتكون بما تضمنته من معارف العصمة المباركة منهلاً يتزوَّد منه السائرون على طريق كمالهم عابرين حياة إلى حياة، بأجساد مادية إلى أجسام مثالية، يستشعرون السعادة الأفضل، آملين السعادة الأكمل.

راجياً أن يكون هذا الكتاب زاداً لي في تلك الرحلة الآتية لا محالة.

مقدّمة الطبعة الثانية

بعد حمد الله تعالى على ما منَّ من النّعم، لا سيَّما بنفاذ الطبعة الأولى في كتاب «نداء الرحيل» (الموت والبرزخ)، في وقت قياسي، نضع في خدمة القرَّاء الأعزّاء الطبعة الثانية من هذا الكتاب، راجين من الله تعالى أن يكون محلّاً للقبول وذخراً يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

مقدمة الطبعة الأولى

في زمن تتثاقل فيه نفوس الناس بأثقال المادية الجاذبة وأوهام الاعتبارات الزائفة تنشدُّ فطرة الإنسانية السليمة لنداءٍ اخترق جدر الكوفة الغبراء، وقرون الأزمنة الغابرة، انطلق من نفسٍ لم تستطع قضبان الدنيا بجاهها وسلطتها أن تأسر منها شيئاً، فبقيت وما زالت حرَّة تنادي كلّ الناس التوّاقين إلى الحرية الحقيقية:

«تجهّزوا رحمكم الله، فقد نودي فيكم بالرحيل، وأقلوا العرجة على الدنيا وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد؛ فإنَّ أمامكم عقبة كؤوداً، ومنازل مخوفة مهولة، لا بد من الورود عليها والوقوف عندها».

إنّه نداءُ مَنْ علَّمنا أن نعمل في الدنيا كأننا نعيش فيها أبداً وأن نعمل للآخرة كأنّما نرحل عنها غداً.

إنّه نداء الحياة، وإنّه «**نداء الرحيل**» الذي دعاني أن أُلقي كلماته على المؤمنين الذين آخَوْا روحي في أحبّ المساجد إلى قلبي في وطني المقاوم؛ لأقدّمها بعد ذلك بحلَّة هذا الكتاب الصغير حجماً الواسع في محتواه لعالم يمتدّ ويمتدّ إلى يوم النفخة الأولى.

عسى أن يتقبّل الله تعالى عملي، وأن ينال رضا القائم المهدي عجل الله فرجه الشريف.

أكرم بركات

بيروت ١٤٣١هـ

الإنسان في رحلاته الأربع

الاسئلة الأولى

«**أنا موجود**» حقيقة لا تقبل الشكّ والنكران.

أنا لم أخلق نفسي، بل التفت إليها في معترك الحياة، وهذا ما يردِّده أبي وجدي بل وسلسلة أجدادي إلى أول إنسان.

إذاً من خلقنا، ونحن كلُّنا ضعفاء عاجزون؟ كان يمكن أن نكون وأن لا نكون لا بد أن يكون الذي خلقنا ليس مثلنا، ليس بحاجة إلى أن يخلقه أحد، لا بد أن يكون، ولا ينفكُّ عنه الوجود، فهو سرمديٌّ في وجوده، لا يحتاج إلى وجود، فهو غنيٌّ مطلق يكون، إني أعلم أنّ فاقد الشيء لا يعطيه، فلا يمكنك أن تعطيني مالاً وأنت فاقد له:

وفــي هــذا الــوجــود حيـاة	فـمـعـطـي الـحـيــاة حي
وفــي هــذا الــوجــود علم	فـمـعـطـي الـعـلـم عـالـم
وفــي هــذا الــوجــود قـدرة	فـمـعـطـي الـقـدرة قــادر
وفــي هــذا الــوجــود كـرم	فـمـعـطـي الـكـرم كـريـم

إذاً من خلقني هو حكيم؛ لأنّ الحكيم من يضع الأمور في مواضعها المناسبة، فكل عمل عنده هدف محدد، ومن لا يضع الأمور في تلك المواضع المناسبة فإنما يفعل ذلك لجهل، وخالقي عالم، أو لعجز وخالقي قادر، أو لبخل وخالقي كريم، إذاً فخالقي حكيم، وكونُه حكيماً، يعني أنه خلقني لأجل هدف ترى ما هو هدف خلقي، مع أنه غني لا يحتاج إلى شيء مني؟ لا بد أن يكون الهدف يتعلق بي، إنه سَيِّري على طريق الكمال.

لكن هل أستطيع -أنا- بما وهبني من سبل المعرفة من حسٍّ وخيال ووهم وعقل، أن أتعرَّف إلى تلك الطريق؟

كلا، لا أستطيع ذلك، إذاً، لا بدَّ للحكيم من أن يرشدني بطريقة ما إلى تلك الطريق؛ لأسير عليها وأحقق غاية وجودي.

الآن فهمت سرَّ النبوة والرسالة؛ فإنها الوسيلة التي من خلالها أراد خالقي أن يرشدني ويهديني إلى طريق كمالي.

بحثت في الرسالات والنبوات، فوجدت واحدةً فقط منها يواكبها دليلها المعجزة في زمني، وليس في زمن غابر، ألا وهي رسالة الإسلام ونبوّة خاتم الرسل محمد بن عبد الله ﷺ، فآمنت بها؛ لأضيف إلى آليات معرفتي التي على رأسها العقل آليةً أخرى، هي نص القرآن الكريم ونصٌّ من عصمه الله ليكمل الهداية إلى طريق الكمال.

الآن أستطيع أن أكمل أسئلتي وأرجعها إلى نصٍّ صادق يفتح لي باب الواقع المغلق، ويخبرنا بما لا أستطيع أنا وغيري القاصرون أن نجيب عنه.

هلمُّوا معي نسأل القرآن عن الإنسان من بدايته إلى مصيره لنعرف إلى أين سنذهب؟ وكيف نرسم سعادة المستقبل؟

مسيرة الإنسان في رحلاته الأربع

قال الله تعالى في سورة «**المؤمنون**»: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ، ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[1].

إنها مسيرة تتضمن رحلات:

الرحلة الأولى: هي رحلة المادة، طين، نطفة، علقة، مضغة، عظام، عظام ولحم.

الرحلة الثانية: هي رحلة الحياة الدنيا من خلال نشأة النفس مع الجسد ومواكبتها له.

الرحلة الثالثة: هي رحلة الإماتة من خلال فصل النفس عن الجسد، لتكون روحاً.

---

(١) سورة «المؤمنون»: الآيات ١٢-١٦.

الرحلة الرابعة: هي رحلة البعث من خلال عودة الروح إلى الجسد لمواجهة المصير.

لا بد من استحضار هذه الرحلات حتى لا نكون كتلك النملة التي رُمِيت في ساحة فيها الكثير من المربعات الملونة، كل لون يختلف عن الآخر، فأول ما وقع نظرها على المربع الأصفر أخذت تسير فيه وهي تظن أنّ الأصفر هو لون كل الساحة، وكل الحياة، فجأة دخلت في اللون الأخضر، فأخذت تمشي فيه فظنت أنّ الساحة والحياة أصبحت كلها خضراء، ولا يوجد لون آخر...

لا بد من استحضار هذه الرحلات حتى لا نكون كذلك الجنين في قصيدة أحد الشعراء الذي يصوِّره، وكأنه أعطي قوة الفهم، ولغة الحوار، فقيل له: كم ترى حجم الحياة؟ فأجاب بثقة: إنّ حجمها حجمُ رحم أمي، فقيل له: إنّ هناك حياة أوسع بكثير من حياتك هذه، إنها حياة فيها أطعمة وأشربة لذيذة، فيها ألعاب لطفولتك فيها مساحات واسعة لحركتك، فلم يصدِّق، لأنه لا يعتقد أنّ هناك طعاماً وشراباً أطيب وألذّ من الدم الذي يتغذى به من رحم أمه، ولا يعتقد بوجود فضاء أوسع من ذلك الرحم. لذا يصوِّر ذلك الشاعر حال الجنين حينما تأتي القابلة تريد إخراجه من رحم أمه، بأنَّه يتشبَّث بالرحم، أنه لا يريد الخروج لأنه لا يعتقد بوجود آخر غير الرحم، ولكنه حينما تخرجه القابلة بالقوة ويرى حال الحياة الكبرى خارج الرحم فإنه يصرخ صرخة المفاجأة.

وينتقل الشاعر في قصيدته ليصوِّر حال الإنسان غير المؤمن كحال هذا الجنين، لا يصدِّق بوجود عالم آخر غير هذه الحياة الدنيا، وحينما يأتيه ملك الموت يريد إخراجه إلى تلك الحياة، فإنه يتشبَّث بروحه فتكون النزعة القاسية.

حتى لا نكون ضيِّقي المعرفة كتلك النملة وهذا الجنين علينا أن نستحضر كل الرحلات، ونحن الآن في خضم الرحلة الثانية، رحلة النفس مع الجسد فهلمّوا معي نتعرف على حقيقتنا في هذه المرحلة لنعرف بعد ذلك إلى أين نسير؟

حقيقة الإنسان

تشير الآيات السابقة إلى أنّ الإنسان بعد تكوينه المادي من عظم ولحم أنشأه الله تعالى خلقاً آخر غير الخلق المادي الذي تحدثت عنه الآيات وهو ما يسميه القرآن الكريم بالنفس، وفي تحليل هذا الإنشاء الجديد نظريتان أساسيتان:

الأولى: أنّ النفس خُلقت بشكل مستقل، ثم أودعها خالقها في رحم الأم ليحصل تزاوج بين النفس والجسد[١].

الثانية: أنّ النفس انبثقت من ذلك التكوين المادي للإنسان من حين تحوّل استعداد المادة للإدراك الجديد إلى فعلية للإدراك[٢].

---

(١) راجع: ابن سينا، الشفاء، مراجعة د. إبراهيم مدكور، (لا، ط)، مصر، الهيئة المصرية العامة للتأليف، (لا، ت)، ج٣ ص ٤٠٣.

(٢) راجع: الشيرازي، صدر الدين، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، (لا، ط)، طهران، دار المعارف الإسلامية، ١٣٧٨ هـ، ج٨ ص ٣٣٠-٣٣١.

وعلى كلتا النظريتين فإنّ النفس أصحبت بعد هذا الإنشاء هي التي تعبِّر عن الحقيقة الإنسانية مع تغيُّر ألبستها الجسمانية بشكل ممتد، والدليل على ذلك مراقبة حال الإنسان منذ الولادة.

فأول ما ولد فلان سمّاه أبوه «أحمد»، كان وزن أحمد ثلاثة كلغ وحجمه صغير، وملامحه ناعمة، وكبر أحمد، وأصبح عمره ست سنوات ودخل المدرسة، ثم كبر ونجح في الشهادة المتوسطة في عمر خمسَ عشرةَ سنة، وكبر بعدها وتخرج من الثانوية في عمر ثماني عشرة سنة، وكبر بعد ذلك حاملاً إجازة في الطب العام في عمر خمسة وعشرين عاماً، وكبر بعدها وكبر..

أتدرون كم مرة تغيرت خلايا جسد أحمد؟ الطب يؤكد أنّ يدي أحمد الآن وكذا ساقاه وكذا أكثر أعضاء جسده، لم تعد هي نفسها حينما كان صغيراً بل تبدّلت عدة مرات.

ومع ذلك بقي أحمد هو أحمد، فلو أنّ أحمد الصغير كان قد ضرب بيده أحدهم، فإنّ الأخير بعد عشرين عاماً قد يذكّره حين ضربه بيده مع أنّ يد أحمد قد تغيرت غيرَ مرة، ويده اليوم غير يده حينما ضرب بها، لكن أحمد الذي ضرب هو أحمد الآن.

فإذا كانت أكثر خلايا أحمد قد تغيّرت، أي أنّ جسد أحمد قد تبدّل عدة مرات، إذاً من هو أحمد؟

إنه ليس الجسد القديم ولا الجديد، بل هو النفس التي ما زالت تنمو وتنمو من دون أن تتبدّل في حقيقتها ببدل آخر.

وهذا يدل على أنّ حقيقة الإنسان هي ليست الجسد الخاص، بل هي هذه النفس التي تحركه وتواكبه وتبقى مع تغير حال الجسد مهما طال الزمن وتعددت الأشكال. هذه النفس هي محور تحقيق الإنسان لغاية وجوده في هذه الحياة ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾[١].

فإذا نمَّاها الإنسان وغذّاها بالكمالات يصل إلى أرقى مرحلة كمالية ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[٢]، وإذا لوّثها الإنسان بإغماسها في المعاصي يصل إلى أسفل حضيض ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[٣].

والنفس في رحلة الإنسان الثانية قابلة للتغيُّر، فقد تسيء إلى نفسها فتصبح أمّارة بالسوء ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[٤].

وقد ترتقي في كمالها، فتصبح هادئة مستقرة ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾[٥] وقد تكون في حالٍ بين الحالتين ترتكب السوء، وتلوم ذاتها بعد ذلك ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[٦].

في رحلتها هذه قد تُصدم النفسُ بلحظة القرار، بتوقُّف الرحلة، وفصلها عن الجسد، من دون إمهال:

قال: مهِّلني يوماً

أجاب: قد ضيّعتَ الأيام

---

(١) سورة الشمس، الآية ٧.
(٢) سورة الشمس، الآية ٩.
(٣) سورة الشمس، الآية ١٠.
(٤) سورة يوسف: الآية ٥٣.
(٥) سورة الفجر: الآية ٢٧.
(٦) سورة القيامة: الآية ٢.

قال: مهِّلني ساعة

أجاب: قد ضيعت الساعات.

إنها لحظة الموت التي لا بد منها ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾[١]

وهي بوابة الرحلة الثالثة.

---

(١) سورة «المؤمنون»: الآية ١٥.

حتمية الموت

مراحل الإنسان في الدنيا

كما لخّص القرآن الكريم مسيرة الإنسان في أربع رحلات: رحلة المادة، رحلة الحياة الدنيا، رحلة الإماتة ورحلة البعث، فقد لخّص الرحلة الثانية بقوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا﴾[١].

يفسر ثلة من العلماء هذه الآية بأنها المراحل المتتالية في حياة الإنسان في الدنيا.

الأولى: مرحلة اللعب، وتكون في عمر الأطفال.

والثانية: مرحلة اللهو، وتكون في عمر الناشئة.

والثالثة: مرحلة الزينة، وتكون في عمر الشباب.

والرابعة: مرحلة التفاخر والتكاثر في الأموال والأولاد، وتكون في زمن الشيخوخة.

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٠.

العمر السريع

لكنّ هذه المراحل كيف تتم؟ بأية سرعة تجري؟

ورد أنّ جبرئيل عليه السلام سأل نبي الله نوحاً الذي عاش ألفاً إلا خمسين عاماً، قيل إنه زمن تبليغ قومه، أما عمره فكان أكثر من ذلك: يا أطول الأنبياء عمراً، كيف وجدت الدنيا؟ قال: كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر[١]. ألا يصدّق كل منا في وجدانه ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما أسرع الساعات في اليوم، وأسرع الأيام في الشهر، وأسرع الشهور في السنة، وأسرع السنين في العمر**»[٢]؟.

وقد نُسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام شعر يقسم فيه عمر الإنسان السريع بقوله:

فلَوْ عاش الفتى ستين عاماً فنصفُ العمر تمحقه الليالي

ونصفُ العمر يذهب ليس يدري لِغَفلتِه يميناً مِن شمال

وباقي العمر أسقامٌ وشيبٌ وهَمٌّ بارتحالٍ وانتقال

فحبُّ المرء طولَ العمر جهلٌ وقسمتُه على هذا المثال

---

(١) الريشهري، محمدي ، ميزان الحكمة، ط٢، قم، مكتب الاعلام الاسلامي،١٤١٢، ج٣،ص٣٣٩

(٢) نهج البلاغة، إصدار سفارة الجمهورية الاسلامية الايرانية بدمشق، خطبة ١٨٨، ص٤٠٨.

وتأتي ساعة الموت:

وعلى حين غفلة من الإنسان يأتيه ملك الموت، حينها يعرف الإنسان أهمية الوقت الذي طالما أضاعه، وقد ورد أنه حينما يعرف بحلول أجله فإنّه يتمنّى أن يعيش ساعة يتدارك فيها تفريطه ولو كان مقابلها كلّ الدنيا لو كانت له، لكنه لا يجد لذلك سبيلاً. يقول لملك الموت: أمهلني يوماً، فيجيبه: قد ضيّعت الأيام، ثم يحاول مرّة أخرى قائلاً له: أمهلني يوماً، فيجيبه: قد ضيعت الأيام، ثم يحاول مرة أخرى قائلاً له: أمهلني ساعة، أتدارك فيها، فيجيبه: قد ضيّعت الساعات[١].

حينها يعرف الإنسان الحقيقة التي طالما هرب منها، ألا وهي حتمية الموت.

ليلتفت الإنسان إلى هذه الحقيقة في حياته قبل الموت صاغ القرآن الكريم المرحلة الثالثة من مسيرة الإنسان بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾[٢]، فاللافت في هذه الآية هو التأكيد المشدَّد فـ «**إنّ**» حرف توكيد و«**اللام**» في «**لميتون**» هي أيضاً حرف توكيد، مع أنّ حتمية الموت بديهية وليست نظرية، لكنّ الناس يتعاملون مع الموت من غير تحديق به نحو أنفسهم، وهم بذلك كما يتعاملون مع الشمس من غير تحديق بها بل من خلال رؤية آثارها

---

(١) التوسيركاني، محمد نبي، لآلئ الأخبار، (لا، ط)، طهران، جهان، (لا، ت)، ج٥، ص٣.

(٢) سورة «المؤمنون»: الآية ١٥.

على الآخرين فقط، وهكذا يرى أكثر الناس الموت من خلال حلوله في غيرهم لا فيهم وقد لفت رسول الله ﷺ إلى ذلك وهو يخطب على ناقته قائلاً: «**أيها الناس، كأنّ الموت فيها على غيرنا كُتب، وكأنّ الحقّ على غيرنا وجب، وكأنّ ما نسمع من الأموات سَفْرٌ عما قليل إلينا راجعون، نُبوِّئُهم أجداثهم، ونأكل تُراثهم كأنا مخلّدون بعدهم**»[١].

وكما يقول الشاعر:

والموت يأتي بعد ذلك كله   وكأنه يعني بذاك سوانا

لقد عبّر عن هذا المسلك الإنساني تجاه الموت أمير المؤمنين علي عليه السلام بكلمة في غاية البلاغة قال فيها: «**لم يخلق الله يقيناً لا شك فيه أشبه بشكٍّ لا يقين فيه، من الموت**»[٢].

فالموت وإن كان يقينياً عند الإنسان، لكن حبَّه للبقاء والخلود يجعله في مقام التعامل مع الحياة والسلوك فيها كأنه سيبقى حيّاً خالداً، ومما يزيد في هذا السلوك خوفه من الموت، ولكنّ أمير المؤمنين عليه السلام يجيب مَنْ هكذا حالُهم، وهم أكثر الناس «**فما ينجو من الموت من خافه، ولا يُعطى البقاءَ من أحبه**»[٣].

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، تصحيح محمد مهدي الموسوي الخرساني، (لا، ط)، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٩٦ هـ. ش، ج٧٤ ص ١٧٥..

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٥ ص٢٤٦.

(٣) الإمام علي، نهج البلاغة، إعداد الشريف الرضي، (لا، ط)، بيروت، دار التعارف، (لا، ت)، خطبة ٣٨، ص ١٤٠.

الهروب من الموت

من المؤكد أنّ كثيراً من الناس لو عرفوا وسيلة تدفع عنهم الموت لبذلوا للحصول عليها كامل جهدهم ولو بخوض البحار وصعود القمم وبذل الغالي والنفيس، لكن – كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام –: **«لو أنّ أحداً يجد إلى البقاء سلّماً، ولدفْع الموت سبيلاً، لكان ذلك سليمان بن داود الذي سُخّر له مُلْكُ الجن والإنس مع النبوة وعظيم الزلفة، فلما استوفي طعمته، واستكمل مدته رمته قُسِيُّ الفناء بنبال الموت وأصبحت الديار منه خالية، والمساكن معطلة، وورثها قوم آخرون**[1].

ولأنّ نبي الله سليمان عليه السلام كان يعرف هذه الحقيقة فإنه كان يقول: **«لَتسبيحةٌ واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتي آل داود؛ لأنّ ثواب التسبيحة يبقى وملك سليمان يفنى»**[2].

سلطة ملك الموت

وكيف يهرب الإنسان من ملك الموت، وقد أعطاه الله تعالى السلطة الواسعة التي تحدَّث عنها خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله في رواية الإسراء قائلاً: **«لما أُسريَ بي إلى السماء رأيت مَلَكاً من الملائكة بيده لوح من نور لا يلتفت يميناً ولا شمالاً، مقبلاً عليه كهيئة**

(١) المصدر السابق ،خطبة ١٨٢، ص ٣٨٨.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج١٤، ص٨١.

الحزين، فقلت: من هذا يا جبرائيل؟! فقال: هذا مَلَك الموت مشغول في قبض الأرواح، فقلت: أدنني منه يا جبرائيل لأكلمه، فأدناني منه، فقلت له: يا مَلَك الموت، أكلُّ من مات أو هو ميِّت فيما بعد أنت تقبض روحه؟ قال: نعم، قلت: وتحضرهم بنفسك؟ قال: نعم، ما الدنيا عندي فيما سخرها الله لي، ومكنني منها إلا كدرهم في كف الرجل يقلبه كيف يشاء، وما من دارٍ في الدنيا إلا وأدخلها في كل يوم خمس مرات، وأقول إذا بكى أهل البيت على ميتهم: لا تبكوا عليه، فإن لي إليكم عودة وعودة حتى لا يبقى أحد منكم»[١].

ورد عن الإمام أبي جعفر عليه السلام حينما سئل عن لحظة ملك الموت، قال: «**أما رأيت الناس يكونون جلوساً فتعتريهم السكتة فما يتكلم أحدٌ منهم، فتلك لحظة ملك الموت حيث يلحظهم**»[٢].

لقد بيَّن الإمام الهادي عليه السلام حتمية الموت للإنسان مهما علا شأنه وارتفع مقامه، من خلال قصيدة وعظ بها المتوكل المتغطرس قائلاً:

باتوا على قُلل الأجبال تحرسهم غُلْبُ الرجال فما أغنتهم القُلَلُ

واستُنزِلوا بعد عزٍّ عن معاقلهم فأُودِعوا حُفَراً يا بئسَ ما نزلوا!

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ص ١٤١.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، فروع الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، (لا. ط)، بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٥م، ج٣، ص ٢٥٩.

نـاداهمُ صـارخٌ من بعد ما قُبروا أين الأسـرةُ والتيـجـانُ والحُلَلُ؟
أيـن الـوجـوهُ الـتي كانت منعّمةً من دونها تُضـرَب الأستار والكللُ
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهراً وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا
وطالما عمّروا دوراً لتحصنهم ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الأموال وادخروا فخلفوها على الأعداء وارتحلوا
أضحت منازلهم قفراً معطلةً وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

إنه تطبيق قصائدي لقوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[1].

سلام الله تعالى على أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ القائل: أنتم طرداء الموت، إن أقمتم له أخذكم وإن فررتم منه أدرككم، وهو ألزم لكم من ظلكم، الموت معقود بنواصيكم[2].

عِبرة طريفة

من جميل العِبَر المنقولة حول الهروب من الموت ما يُحكى عن رجل كان في مجلس نبيّ الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وفي ذلك المجلس أرسل الله تعالى ملك الموت في صورة يُمكن للآخرين مشاهدتها

(١) سورة النساء، الآية ٧٨.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٢٧، ص ٥٣٨.

ومعرفته من خلالها، فإذا بملك الموت عليه السلام ينظر إلى ذلك الرجل ويحدِّق به بتعجب وانبهار، لاحظ الرجل تحديق ملك الموت عليه السلام به، فهلع قلبه، وذهب إلى نبي الله سليمان عليه السلام طالباً منه أن ينقله إلى الهند؛ لبعدها الشاسع عن ذلك المكان، فأمر نبي الله الرياح أن تنقله إليها، ثم بعد ذلك بفترة قابل النبي سليمان عليه السلام ملك الموت، فسأله عن سبب ذلك، فأجابه: لا يا نبي الله، لكنّ الله تعالى كان قد أمرني أن أقبض روحه بعد ساعة في الهند، فحينما رأيته في مجلسك أصابني العجب من ذلك، لكني بعد ساعة ذهبت إلى الهند وقبضت روحه هناك[١].

لماذا الهرب من الموت؟

من يعتقد أنّ الموت عدمٌ لحياته فإنه يهرب من التخلي عن الوجود، ولكن ما بال من يؤمن بأنّ الموت «**قنطرة**» أي جسر لحياة أخرى كما هو تعبير الإمام الحسين عليه السلام؟

إنّ الجواب الواضح أتى من الإمام الحسن المجتبى عليه السلام حين سأله بعضهم: يا بن رسول الله، ما بالنا نكره الموت ولا نحبه؟ فأجابهم عليه السلام: «**إنكم أخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب**»[٢].

---

(١) التوسيركاني، محمد نبي، لآلئ الأخبار، ج٤، ص ٢٤٥.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦-ص ١٢٩.

إنّ الكراهة ليست للموت وإنما لعدم الجهوزية والاستعداد لما بعد الموت.

وفي تطبيق عملي لهذا الأمر ورد أنّ رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: ما لي لا أحب الموت؟ فقال ﷺ له، «**ألك مال**»؟ قال، نعم، قال ﷺ: «**فقدمته**»؟ قال، «**لا، قال ﷺ فمن ثَمَّ لا تحب الموت**»[١].

ذكر الموت

وبما أنّ كره الإنسان وهروبه من الموت ليس لنفس الموت، بل لمعاصيه وآثامه التي يخاف من نتائجها أراد الله تعالى له أن يذكر الموت كرادع عن تلك المعاصي والآثام، فورد عن النبي ﷺ: «**أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت، وأفضل العبادة ذكر الموت، وأفضل التفكر ذكر الموت، فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنة**»[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أكثروا ذكر الموت ويوم خروجكم من القبور وقيامكم بين يدي الله عز وجل يهون عليكم المصاب**»[٣].

---

(١) الصدوق، محمد بن علي، الخصال، تحقيق علي أكبر الغفاري، (لا، ط)، قم، جماعة المدرسين، ١٤٠٣ هـ، ص ١٣.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ص ١٢٧.

(٣) الشاهرودي، علي، مستدرك سفينة البحار، تحقيق حسن النمازي، (لا، ط)، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٩هـ، ج٩ ص ٤٥٥.

وعنه ﷺ: «**إنّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، قيل: فما جلاؤها؟ قال: ذكر الموت وتلاوة القرآن**»[١].

سلام الله على أمير المؤمنين عليه السلام حينما ذكر الموت وأهله وهو عائد برفقة أصحابه من معركة صفين، فتوقف عند مقبرة الكوفة وراح يخاطب أصحاب القبور فيها قائلاً:

«**يا أهل الديار الموحشة والمحالّ المقفرة والقبور المظلمة، يا أهل التربة، يا أهل الغربة، يا أهل الوحدة، يا أهل الوحشة، أنتم لنا فرَط سابق ونحن لكم تبع لاحق. أمّا الدور فقد سكنت وأمّا الأزواج فقد نُكحت وأمّا الأموال فقد قسمت. هذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم؟**

ثم التفت إلى أصحابه، فقال: «**أما لو أُذن لهم في الكلام لأخبروكم أنّ خير الزاد التقوى**»[٢].

قصة معبّرة

ومن لطيف ما ورد في سِيَر ذاكري الموت قصة ذلك الشاب من الأنصار، الذي كان يأتي عبد الله بن العباس، وكان عبد الله يكرمه ويُدنيه، فقيل له: إنك تكرم هذا الشاب وتُدنيه، وهو شاب سوء يأتي المقابر فينبشها بالليالي، فقال عبد الله بن العباس: إذا

---

(١) أصفهاني، محمد مهدي، ترانيم الرحيل إلى العالم الآخر، تعريب زهراء يكانا، ط١، بيروت، دار الهادي، ٢٠٠٥م، ص ١٦.

(٢) نهج البلاغة ج٤، ص ٦٧٨.

كان ذلك فأعلموني. فخرج الشاب في بعض الليالي يتخلل القبور، فأُعلم عبد الله بن العباس بذلك، فخرج لينظر ما يكون من أمره، ووقف ناحية ينظر إليه من حيث لا يراه الشاب، فدخل الشاب قبراً قد حُفر، ثم اضطجع في اللحد، ونادى بأعلى صوته: «يا ويحي إذا **دخلت لحدي وحدي، ونطقت الأرض من تحتي فقالت: لا مرحباً بك ولا أهلاً، قد كنت أبغضك وأنت على ظهري، فكيف وقد صرت في بطني؟! بل ويحي إذا نظرت إلى الأنبياء وقوفاً والملائكة صفوفاً، فمِنْ عدلك غداً مَنْ يخلصني، ومِن المظلومين مَنْ يستنقذني، ومن عذاب الناس من يجيرني، عصيتُ من ليس بأهلٍ أن يُعصى، عاهدت ربي مرة بعد أخرى، فلم يجد عندي صدقاً ولا وفاءً**»، وجعل يردد هذا الكلام ويبكي، فلما خرج من القبر التزمه ابن العباس وعانقه، ثم قال: نِعمَ النبّاش! نِعمَ النبّاش! ما أنبشكَ للذنوب والخطايا[1].

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ص ١٣١..

نظرة المؤمن إلى الموت

حقيقة الموت

إنّ ما يدل عليه العقل وتشهد له النصوص الدينية أنه لا بدَّ من وجود حياة أخرى لا يغلب في ساحة منها التعب، يعاقب فيها الظالم ويؤخذ فيها للمظلوم حقه، ويبقى فيها الإنسان مع ما جناه في هذه الدنيا.

وهذا ما أكده خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله حينما ورد عنه: «**ما خُلقتم للفناء بل خُلقتم للبقاء، إنما تُنقلون من دار إلى دار**»[1].

وحقيقة الموت أنه الباب بين الدارين كما رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام «**الموت باب الآخرة**»[2].

من هنا فإنّ من كان موته باباً للثواب فإنه سيشعر به «**كأطيب ريح يشمه فينعس بطيبه وينقطع التعب والألم كله عنه**»[3] ومن

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦ ص ٢٤٩.

(٢) الريشهري، محمدي، ميزان الحكمة، ط٢، قم، مكتب الاعلام الاسلامي، ١٤١٢، ج٩، ص٢٢٥.

(٣) شبّر، عبد الله، تسلية الفؤاد في بيان الموت والمعاد، تحقيق علاء الدين الأعلمي، ط١، بيروت، الأعلمي، ١٩٩٥م، ص ٣٩.

كان موته باباً للعقاب فقد يشعر به «**كلسع الأفاعي ولذع العقارب أو أشد**»[(١)].

هل يتمَّنى المؤمن أن يموت؟

إن تمنّي الموت تابع لأمرين:

الأول: يتعلق باطمئنان المؤمن إلى آخرته السعيدة.

الثاني: يرتبط بطموحه في زيادة حسناته لتكون حياته الآخرة أفضل.

من هنا نفهم سرّ جواب الإمام الصادق عليه السلام لذلك الرجل الذي قال له: سئمت الدنيا فأتمنى على الله الموت. فأجابه عليه السلام: «**تمنَّ الحياة لتطيع لا لتعصي، فلأَنْ تعيش فتطيع خير لك من أن تموت فلا تعصي ولا تطيع**»[(٢)].

ونفهم أيضاً سر قول رسول الله صلى الله عليه وآله لذلك الرجل المريض الذي كان يتمنى الموت، فقال له: «**لا تتمنَّ الموت، فإنك إن تك محسناً تزدد إحساناً إلى إحسانك وإن كنت مسيئاً فتؤخَّر لتستعتب فلا تمنوا الموت**»[(٣)].

وقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وآله الدعاء الصحيح المتعلق بالموت بقوله – في ما ورد عنه: «**يدعُوَنّ أحدكم بالموت لضرٍّ نزل به، ولكن**

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٩.
(٢) المصدر السابق، ص ١٧.
(٣) المصدر السابق، ص ١٨.

ليقل أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفّني إذا كانت الوفاة خيراً لي»[١].

وبنفس هذا المعنى كان يدعو الإمام زين العابدين عليه السلام كما في الصحيفة السجادية، «... **وعمِّرني ما كان عمري بذلة في طاعتك، فإذا كان عمري مرتعاً للشيطان فاقبضني إليك، قبل أن يسبق مقتك إليّ، أو يستحكم غضبك عليّ»[٢].**

نعم حين يطمئنّ المؤمن إلى مصيره بعد الموت، ويعلم أنّ الباب الذي سيُفتح له سيكون في أعلى مراتب رضوان الله تعالى فإنه سيتمنّى الموت، لذا قال الله تعالى مخاطباً اليهود: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[٣]. من هنا نفهم سرَّ سعي المؤمنين المجاهدين حقّاً نحو قتل الشهادة، فهم يعرفون مرتبة الشهيد التي تحدث عنها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله الوارد عنه: للشهيد سبع خصال من الله:

«الأولى: أول قطرة من دمه مغفور له كلُّ ذنب.

الثانية: يقع رأسه في حجر زوجتيه من الحور العين وتمسحان الغبار عن وجهه وتقولان مرحباً بك، ويقول هو مثل ذلك لهما.

والثالثة: يُكسى من كُسوة الجنة.

---

(١) الريشهري، محمدي، ميزان الحكمة، ج٩، ص٢٥٥.

(٢) الصحيفة السجادية – دعاء رقم ٢٠- في مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال.

(٣) سورة الجمعة: الآية ٦.

والرابعة: تبتدره خزَنة الجنة بكل ريح طيبة أيهم يأخذه معه.

والخامسة: أن يرى منزله.

والسادسة: يُقال لروحه: اسرَحْ في الجنة حيث شئت.

والسابعة: أن ينظر في وجه الله، وإنها لراحة لكل نبي وشهيد»[(١)].

من هذا نفهم سرَّ تمنّي المؤمنين المجاهدين في سبيل الله القتل، بل أكثر من ذلك، فعن نبينا الأكرم ﷺ: «**ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرُّها أنها ترجع إلى الدنيا، ولا أنّ لها الدنيا وما فيها إلا الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع فيُقتل في الدنيا لما يرى من فضل الشهادة**»[(٢)].

لأنّ الشهيد هكذا حاله نهانا الله عن الاعتقاد بأنه ميت فقال عزّ وجل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[(٣)].

حُبُّ لقاء الله

إنّ سعي الشهيد إلى خروج روحه من سجن البدن ليلاقي معشوقه الأبدي، ينطلق من حبِّ لقاء الله الذي نقرأه في سيرة

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، تحقيق عبد الرحيم الشيرازي، ط٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج١١، ص١٠.

(٢) الريشهري، محمدي، ميزان الحكمة، ط١، بيروت، دار الحديث، ٢٠٠١، ج٥، ص٢٠٠٩.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

الأنبياء والأولياء العظام، فقد ألفت الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام إلى حب لقائه إذ «**لما أراد الله تبارك وتعالى قبض روح إبراهيم عليه السلام أهبط الله ملك الموت فقال: السلام عليك يا إبراهيم، قال عليه السلام: وعليك السلام يا ملك الموت، أداع أنت أم ناع؟ قال عليه السلام: بل داع يا إبراهيم، فأجب، قال إبراهيم عليه السلام: فهل رأيت خليلاً يميت خليله؟ فرجع ملك الموت حتى وقف بين يدي الله جل جلاله فقال: إلهي سمعت ما قال خليلك إبراهيم، قال الله جل جلاله: يا ملك الموت إذهب إليه وقل له: هل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه، إنّ الحبيب يحب لقاء حبيبه**»(١).

وفي قصة معبّرة عن هذا الحب للقاء الله حصلت مع مؤمن من بني إسرائيل في وقتٍ كان ملك الموت مأموراً أن يقبض روحه وروح أحد الملوك الذي أراد أن يركب إلى الأرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتّى لبس ما أعجبه بعد مرّات وكذلك طلب دابّة فلم يعجبه حتّى آتى بدوابّ فركب أحسنها، فجاء إبليس فنفخ في منخريه نفخة فملأه كبراً، ثم سار وسارت معه الجنود، وهو لا ينظر إلى الناس كبراً، فجاءه رجل رثُّ الهيئة، فسلّم عليه، فلم يردَّ السلام، فأخذ بلجام دابّته فقال له الملك: أرسل اللجام فقد تعاطيت أمراً عظيماً، فأجابه ذلك الرجل: إنَّ لي إليك حاجة قال: اصبر حتى أنزل، قال: لا، الآن، فقهره على لجام دابّته فقال:

---

(١) شبر، عبد الله، تسلية الفؤاد، ص ١٧.

اذكرها، قال: هي سرٌّ، فأدنا إليه رأسه فسارَّه فقال: أنا ملك الموت، فتغيّر لون الملك واضطرب لسانه، ثم قال: دعني حتّى أرجع إلى أهلي فأقضي حاجتي وأودِّعهم. قال: لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبداً. فقبض روحه فخرَّ كأنه خشبة. ثم لقي مؤمناً في تلك الحال، فسلّم عليه فردَّ السلام فقال: إن لي إليك حاجة أذكرها في أذنك فقال: هات، فسارَّه فقال: أنا ملك الموت، فقال: مرحباً وأهلاً بمن طالت غيبته عليَّ، فوالله ما كان في الأرض غائب أحبَّ إليَّ أن ألقاه منك. عندها عرضَ عليه ملك الموت أن يذهب لقضاء حاجته ثم بعد ذلك يقبض روحه، لكنّ ذلك الرجل المؤمن أجابه: مالي حاجة أكبر عندي ولا أحبّ من لقاء الله. قال: فاختر على أيِّ حال شئت أن أقبض روحك. فقال: تقدر على ذلك؟ قال: نعم، إنّي أُمرت بذلك. قال: فدعني حتّى أتوضّأ وأصلي ركعتين فاقبض روحي، وأنا ساجد. فقبض روحه وهو ساجد[1].

وقد تجلّى حب لقاء الله في مجتمع النبيﷺفي الصحابي الجليل عمرو بن الجموح الذي كان رجلاً أعرج، فلما كان يوم أُحد وكان له بنون أربعة يشهدون مع النبي ﷺالمشاهد أمثال الأسد، أراد قومه أن يحبسوه وقالوا: أنت رجل أعرج، ولا حرج عليك، وقد ذهب بنوك مع النبي ﷺ، قال: بخ، يذهبون إلى الجنة، وأجلس

---

(١) الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، (لا، ط)، بيروت، دار الفكر، (لا، ت)، ج٦ ص٢٠٢.

أنا عندكم؟ فقالت هند بنت عمرو امرأته: كأني أنظر إليه مولّياً قد أخذ درقته وهو يقول: اللهم لا تردَّني إلى أهلي. فخرج ولحقه بعض قومه يكلمونه في القعود فأبى وجاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّ قومي يريدون أن يحبسوني هذا الوجه، والخروج معك، والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة. فقال ﷺ له: «**أما أنت فقد عذرك الله ولا جهاد عليك**»، فأبى، فقال النبي ﷺ لقومه وبنيه: «**لا عليكم أن تمنعوه، لعلّ الله يرزقه الشهادة**» فخلّوا عنه، فقُتل يومئذ شهيداً، فحملته هند بعد شهادته وابنها خلاد وأخاها عبد الله على بعير، فلما بلغت منقطع الحرة برك البعير، فكان كلما توجهه إلى المدينة برك، وإذا وجهته إلى أُحد أسرع، فرجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته بذلك، فقال ﷺ: «**إن الجمل لمأمور، هل قال عمرو شيئاً؟**» قالت: نعم، إنه لما توجّه إلى أُحُد استقبل القبلة ثم قال: اللهم لا تردني إلى أهلي وارزقني الشهادة. فقال ﷺ: «**فلذلك الجمل لا يمضي، إنّ منكم يا معشر الأنصار من لو أقسم على الله لأبرّه، منهم عمرو بن الجموح**»[1].

ولعل أروع صورة في تجلّي حب لقاء الله من خلال الشهادة هي في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي شكا إلى رسول الله ﷺ بعد معركة أُحُد أنّه لم يُستَشهَد فأجابه ﷺ: «**أبشر فإنّ الشهادة من ورائك**»، وأتت معركة أخرى وانتهت دون شهادته فذهب

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٢٠ ص ١٣٠.

إلى رسول الله ﷺ شاكياً مذكّراً: **«يا رسول الله أوليس قد قلت لي يوم أُحُد حيث استشهد من المسلمين من استشهد وميزت عني الشهادة، فشقّ ذلك عليّ، فقلت لي: أبشر فإنّ الشهادة من ورائك»؟.**

فأجابه رسول الله ﷺ **«إنّ ذلك لكذلك فكيف صبرك إذاً»؟**

فقال علي عليه السلام: **«يا رسول الله، ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشرى والشكر»**[1].

ومرّت السنون وبقي عليّ عليه السلام ينتظر لقاء الله إلى أن دخل المسجد في شهر الله، وفيما هو يصلّي شعر بضربة السيف على رأسه، فقال معبّراً عن ذلك الحبّ: **«فزتُ وربّ الكعبة»**.

وها هو ولده الإمام الحسين عليه السلام ينظر إلى الموت نظرة جمال، فيراه في إحاطته للإنسان كالقلادة على جيد الفتاة، فيقول: **«خُطّ الموت على وُلد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب ليوسف..»**![2]

وحينما يقترب من رحيل الشهادة ويتعجب من يراه، لما يشاهده من بهائه وهدوئه وسكينته يقول لهم: **«صبراً بني الكرام، فما الموت إلا قنطرة يعبر بكم عن البؤس والضرّاء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة، فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر؟**

---

(١) نهج البلاغة ج٢ خطبة ١٥٦ من كلام له خاطب به أهل البصرة.

(٢) المقرّم، عبد الرزّاق، مقتل الحسين، ط٢، قم، دار الثقافة، ١٤١١هـ، ص ١٦٦.

وما هو لأعدائكم إلا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب، إنّ أبي حدّثني عن رسول الله ﷺ: إنّ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جنانهم، وجسر هؤلاء إلى جحيمهم»[1].

ولذا كان آخر فعل قام به الإمام الحسين عليه السلام قبيل حزّ رأسه الشريف أنّه ابتسم، كما ورد في بعض الروايات.. ابتسم بعد أن علّم أهل بيته كيف يبتسمون للموت، حتّى الصغار منهم، فها هو القاسم ابن الحسن الذي لم يبلغ الحِلم سأله عمّه الحسين عليه السلام: «**كيف ترى الموت يا عمّ؟**» فأجاب: «**إنّي أرى الموت أحلى من العسل**».

ابتسم الإمام الحسين عليه السلام للموت في كربلاء بعد أن علّم أصحابه كيف يبتسمون له، فها هو برير قبيل شهادته يضاحك عبد الرحمن الأنصاري، فقال له عبد الرحمن: يا برير، ما هذه ساعة باطل، فقال برير: «**لقد علم قومي أنّي ما أحببت الباطل كهلاً ولا شاباً، وإنّما أفعل ذلك استبشاراً بما نصير إليه، فوالله ما هو إلاّ أن نلقى هؤلاء القوم بأسيافنا نعالجهم بها ساعة، ثم نعانق الحور العين**»[2].

رحم الله شهداءنا الذين تعلموا من أمير المؤمنين عليه السلام حبّ لقاء الله تعالى، ومن الإمام الحسين عليه السلام كيف يبتسمون للموت، فسطّروا ذلك الحبّ في وصاياهم المعبِّرة.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ص ١٥٤ (وفيه: الواسطة بدل الواسعة).

(٢) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، (لا.ط)، بيروت، دار التعارف، (لا.ت)، ج١، ص٦٠١ - ٦٠٢.

قرأت في وصيّة أحد شهداء المقاومة الإسلامية في لبنان:

«يجب أن أطرق باب الموت، أوليست المنية تداهم الإنسان مرة واحدة، فلماذا لا أذهب وراءها؟! وكم هو جميل وعذْب الموت في سبيل الله.. ما وجدت طريقاً أقصر من الشهادة لأصل إلى الجنّة».

سكرة الموت

الاستعداد لسفر الآخرة

من البديهي للحكيم العالم بسفره أن يهيِّئ زاده للرحلة، لكنّ هذه البديهية في رحلة الآخرة طمستها الشهوات والغفلة عند أكثر الناس، فكان لا بد من التذكير.

لذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يرفع صوته في ليالي الكوفة وهو ينادي: «**تجهّزوا رحمكم الله؛ فقد نودي فيكم بالرحيل وأقلوا العرجة على الدنيا، وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد؛ فإنّ أمامكم عقبة كؤوداً، ومنازل مخوفة مهولة، لا بد من الورود عليها، والوقوف عندها**». [1]

وكرّر نجله المجتبى عليه السلام وصية أبيه بقوله: «**استعد لسفرك وحصّل زادك قبل حلول أجلك**»[2].

ولأنّ الأجل يباغت الإنسان، كانت صرخة أمير المؤمنين عليه السلام المستعجلة تدوِّي في آذان أصحاب القلوب:

---

(١) نهج البلاغة خطبة ٢٠٤، ص ٤٥٨-٤٥٩..

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار النوار، ج٤٤ ص ١٣٩.

«أيها الناس، الآن، ما دام الوثاق مطلقاً، والسراج منيراً، وباب التوبة مفتوحاً، قبل أن يجفَّ القلم، وتُطوى الصحف، فلا رزقَ ينزل، ولا عملَ يصعد، المضمارُ اليومَ، والسباقُ غداً، وأنكم لا تدرون إلى جنة أو إلى نار. وأستغفر الله لي ولكم»[١].

وجاءت سكرة الموت

﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾[٢].

من العقبات التي قد تكون كؤوداً بحسب تعبير أمير المؤمنين عليه السلام السابق هي حالة الاحتضار التي قد تكون وسط بكاء الأهل وعويلهم، بينما يكون المحتضر في مقلب آخر يُراهن، يتذكر، يصارع.

رهان المحتضر

حينما يقع الإنسان في ورطة أثناء مسيرته الحياتية، فإنه يبحث عن نقاط قوة تخرجه من تلك الورطة، ويبدو أنّ المحتضر يستحضر نقاط القوة في حياته؛ لعله يجد فيها ما ينقذه من تلك العقبة، وهذا ما يذكره لنا أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: **«إنّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، مُثّل له مالُه وولدُه وعملُه، فيلتفت إلى ماله فيقول: والله، إني كنت عليك حريصاً شحيحاً، فما لي عندك؟ فيقول: خذ مني كفنك.**

---

(١) المحمودي، محمد باقر، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ط١، بيروت، دار التعارف، ١٩٧٧م، ج٣ ص١٦٩.

(٢) سورة ق، الآية ١٩.

فيلتفت إلى وُلده فيقول: والله، إني كنت لكم محباً، وإني كنت لكم محامياً، فماذا لي عندكم؟ فيقولون: نؤديك إلى حفرتك نواريك فيها. فيلتفت إلى عمله، فيقول: والله إني كنت فيك لزاهداً، وإنك عليَّ لثقيل، فماذا عندك فيقول: أنا قرينك في قبرك، ويوم نشرك حتى أُعرض أنا وأنت على ربك»[1].

ذكريات المحتضَر

أمام المحكمة الإلهية القادمة من الطبيعي أن يستحضر المحتضَر ما اقترفه مما قد يُدينه في محكمة العدل الحقة، ومما يتذكره ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام وهو يتحدث عن المحتضر بقوله: **«اجتمعت عليهم سكرة الموت، وحسرة الفوت، ففترت لها أطرافهم، وتغيَّرت لها ألوانهم، ثم ازداد الموت فيهم ولوجاً، فحيل بين أحدهم وبينَ منطقه، وإنه بين أهله ينظر ببصره، ويسمع بأذنه على صحة من عقله وبقاء من لبه، يُفكرُ فيم أفنى عُمرهُ؟ وفيمَ أذهب دهرهُ؟ ويتذكَّرُ أموالاً جمعها، أغمض في مطلبها، وأخذها في مصرحاتها ومشتبهاتها، قد لزمته تبعات جمعها، وأشرف على فراقها، تبقى لمن وراءه، ينعمون فيها، ويتمتعون بها، فيكون المهنأ لغيره والعبءُ على ظهره. والمرءُ قد غلقت رهونه بها، فهو يعضُّ يده ندامةً على ما أصحر له عندَ الموت من أمره، ويزهد في ما كان يرغب فيه أيام عمُره، ويتمنى أنّ الذي كان يغبطه بها، ويحسده**

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦ ص ٢٢٤.

عليها قد حازها دُونَهُ، فلم يزل الموت يتبالغ في جسده حتى خالط لسانُه سمعَهُ، فصار بين أهله لا ينطق بلسانه، ولا يسمع بسمعه، يُرددُ طرْفَهُ والنظرَ في وجوههم يرى حركات ألسنتهم، ويسمع رجع كلامهم، ثم ازداد الموت التياطاً به، فقُبض بصرُه كما قبض سمعُهُ، وخرجت الرّوحُ من جسده وهو يحسّ بها وبخروجها».

حتى قال:«فصار جيفة بين أهله، قد أوحشُوا من جانبه، وتباعدوا من قربه لا يُسعدُ، ولا يجيب داعياً ثم حملوهُ إلى مخطٍّ الأرض، فأسلموُهُ منه إلى عمله وانفضوا عن زورته»[١].

ومن لطيف ما ورد في خواطر المحتضَر قصة ذلك الرجل الذي جاء إلى النبيﷺوقال له: إنّ أبي قال وهو يُحتضَر «ليته كان بعيداً، ليته كان جديداً، ليته كان كاملاً» فأخبره النبي ﷺبأنه رأى فضل الخطو إلى المسجد، فقال: ليته كان بعيداً، ومرَّ به رجل يتألم من البرد، فأعطاه ثوباً بالياً فلما رأى فضل الثوب، قال: ليته كان جديداً، ومرَّ به جائع وهو يطعم، فأعطاه رغيفاً كان قد أخذ منه، فلمَّا رأى فضله قال: ليته كان كاملاً[٢].

صراع المحتضَر(العديلة)

ورد في الدعاء المأثور:«اللهم، إني أعوذ بك من العديلة عند الموت»[٣].

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٠٩، ص ٢٦٢-٢٦٣.

(٢) الجميلي، السيد، سكرات الموت، ط٢، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٢م، ص ١٤.

(٣) القمي، عباس، مفاتيح الجنان، ط٢، بيروت، الأعلمي، ص ١٢٨.

والعديلة هي عنوان لمحاولة يقوم بها إبليس في حال احتضار الميت حينما يفقد الأمل ممن حوله في الدنيا، فيحاول عندها أن يعطيه أملاً بالنجاة بشرط أن يعدل عن الحق إلى الباطل، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**ما من أحد يحضره الموت إلا وكّل به إبليس من شياطينه من يأمره بالكفر، ويشككه في دينه حتى تخرج نفسه، فمن كان مؤمناً لم يقدر عليه**»(١).

وعدم قدرة إبليس على تعديل المؤمن هو من خلال تثبيت الله تعالى له على الإيمان، من هنا فُسِّر قوله تعالى، ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾(٢) بأنّ ظرف هذا التثبيت هو معاينة ملك الموت وحضور الشيطان لإضلاله. وحول أسباب العديلة ورد أنه مرض ذات يوم تلميذ للفضيل بن عياض، فجاء الفضيل وجلس عند رأسه يقرأ سورة ياسين فإذا بالتلميذ يقول لأستاذه: لا تقرأ هذه السورة، فاستجاب الأستاذ، وقال: لتلميذه: قل لا إله إلا الله أجاب: لا أقولها؛ لأني أكرهها ثم مات. تعجب الفضيل، وذهب إلى بيته، فرآه في نومه، وسأله عن سبب ذلك، فأجاب: سبب ذلك ثلاثة أمور: الأول كنت نمّاماً، الثاني كنت حسوداً، والثالث كنت أشرب الخمر؛ وذلك بسبب مرض كان فيَّ، وقد أوصاني الطبيب بشرب قدح من الخمر في كل عام،

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، فروع الكافي، ج٣، ص١٢٣.

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٢٧.

وقال: إن لم تشرب ذلك فلا شفاء لعلّتك. هذه الأمور الثلاثة كانت سبب سوء عاقبتي[١].

قبض الروح

يعبّر القرآن الكريم عن المرحلة الأخيرة للاحتضار:

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ، وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ، وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ، وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ، إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾[٢].

أي إذا بلغت الروح العظام المكتنفة بالحلق، وقيل: هل من طبيب يشفيه؟ ولكن أنّى ينفع الطبيب وقتها!.

«**والتّفت الساق بالساق**» قيل: أي ذهبت قوته فأصبح كالجلد يلتف بعضه ببعض، وقيل: التفّت شدة أمر الدنيا بأمر الآخرة.

إنها اللحظة التي يعاين فيها ملك الموت والناس قد يكونون حوله ولا يشعرون، وكيف يشعرون!! وأمير المؤمنين يصف ملك الموت سائلاً الإنسان: «**هل تحسّ به إذا دخل منزلاً؟ أم هل تراه إذا توفى أحداً، بل كيف يتوفى الجنين في بطن أمه؟ أيلج من بعض جوارحها؟ أم الروح أجابته بإذن ربها؟ أم هو ساكن معه في أحشائها**»؟[٣]

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ، وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ

---

(١) القمي، عباس، منازل الآخرة والمطالب الفاخرة، ترجمة حسين كوراني، (لا، ط)، بيروت، دار التعارف، ١٩٩١م، ص ١٢٢.

(٢) سورة القيامة، الآيات من ٢٦ إلى ٣٠.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١١٢، ص ٢٧١.

مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ، فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ، تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1].

عن الإمام السجاد عليه السلام: **«أشد ساعات ابن آدم ثلاث ساعات: الساعة التي يعاين فيها ملك الموت، والساعة التي يقوم فيها من قبره، والساعة التي يقف فيها بين يدي الله تبارك وتعالى، فإما إلى الجنة وإما إلى النار»**[2].

كيفية قبض الروح

قيل للإمام الصادق عليه السلام: صف لنا الموت. فأجاب عليه السلام: **«للمؤمن كأطيب ريح يشمّه فينعس بطيبه، وينقطع التعب والألم كله عنه، وللكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب أو أشد»**[3].

وقد ورد أنّ إبراهيم الخليل عليه السلام قال لملك الموت: **«أريد أن أراك على الصفة التي تقبض فيها روح الكافر. فقال: يا إبراهيم لا تقدر. فقال** عليه السلام: **أحب ذلك. فقال ملك الموت: أعرض بوجهك، فأعرض بوجهه، ثم قال: انظر، فنظر إليه، فإذا هو أسود كالليل المظلم، وقامته كالنخلة الطويلة، والنار والدخان يخرجان من منخريه، وفمه إلى عنان السماء، فلما نظر إليه غشي على إبراهيم** عليه السلام، **فرجع ملك الموت إلى حالته، فلما**

(١) سورة الواقعة، الآيات من ٨٣ إلى ٨٧.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٦، ص ١٥٩.
(٣) المصدر السابق، ج٧٠، ص٢٥١.

أفاق الخليل عليه السلام قال: يا ملك الموت، لو لم يكن للكافر هول من الموت ألا رؤيتك لكفاه عن سائر الأهوال»(١).

وفي المقابل ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: **«دخل رسول الله على رجل من أصحابه وهو يجود بنفسه، فقال صلى الله عليه وآله: يا ملك الموت أَرفِق بصاحبي، فإنه مؤمن، فقال: أبشر يا محمد، فإني بكل مؤمن رفيق»**(٢).

لعل قضية قبض الروح مرتبطة بمقدار تشبث الإنسان بروحه، فالكافر الذي لا يؤمن بحياة أخرى يتمسك بروحه تمسكاً شديداً، فتحصل شدة النزاع القاسية، أما المؤمن، فإنه على درجات، فمن آمن بالآخرة، وأعدَّ لها العدة المناسبة، فإنه يسلِّم روحه فتكون النتيجة أنّ ملك الموت يسلّها كما تُسَلُّ الشعرة من بين حبَّات الدقيق، نعم قد يكون عند بعض المؤمنين خوف من ذلك نتيجة بعض أعمالهم التي يخافون من آثارها، ولعل ذلك المؤمن الذي زاره الإمام موسى الكاظم عليه السلام من هؤلاء، وكان قد غرق في سكرات الموت، وهو لا يجيب داعياً، فقال من حضر للإمام الكاظم: يا بن رسول الله، وددنا لو عرفنا كيف الموت؟ وكيف حال صاحبنا؟ فقال عليه السلام: **«الموت هو مصفاة يصفّي المؤمنين من ذنوبهم فيكون آخر وزر بقي عليهم»**(٣).

---

(١) التوسيركاني، محمد نبي، لآلئ الأخبار، ج ٥، ص ١١٥.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، فروع الكافي، ج ٣، ص ١٣٦.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ص١٥٥.

المنقذ من سكرة الموت

يمكن أن نضع الأمور التي تنقذ من سكرات الموت في عناوين ثلاثة:

عقيدة المحتضَر

إنّ المعتقد بالله تعالى والآخرة عقيدة ثابتة لا يتأثّر بمحاولة إبليس أن يعدل به عن الحق إلى الباطل.

ومما ينفع في سكرات الموت الإعتقاد بولاية رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام ومقامهم عند الله تعالى، وأنهم أحياء في برزخهم، يواكبون المؤمنين في حياتهم، وهذا ما نلاحظه بالتأمل في كيفية زيارة مراقدهم المطهَّرة. فقد ذكر العلامة الكبير الشيخ الكفعمي أنه إذا أردت دخول مسجد النبي ﷺ أو أحد المشاهد الشريفة لأحد الأئمة عليهم السلام فقل: اللهم إني وقفت على باب من أبواب بيوت نبيّك صلواتك عليه وآله، وقد منعت الناس أن يدخلوا إلا بإذنه، فقلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن

يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾[١] اللهم إني أعتقد حرمة صاحب هذا المشهد الشريف في غيبته، كما أعتقدها في حضرته، وأعلمُ أنّ رسولك وخلفاءه عليهم السلام أحياء عندك يرزقون يرون مقامي ويسمعون كلامي ويردون سلامي، وأنك حجبت عن سمعي كلامهم وفتحت باب فهمي بلذيذ مناجاتهم[٢].

وما يدل على الحضور الحي لرسول الله صلى الله عليه وآله أننا في قلب الصلاة وقبل ختمها نسلّم عليه صلى الله عليه وآله بلغة المخاطب الحاضر، فنقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

إنّ هذا الاعتقاد ينفع في تلك اللحظات الشديدة، وهذه بشرى بشّر فيها رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام حينما قال صلى الله عليه وآله له: «**يا علي، إنّ محبيك يفرحون في ثلاثة مواطن: عند خروج أنفسهم وأنت هناك تشهدهم، وعند المساءلة في القبور وأنت تلقنهم، وعند العرض على الله وأنت هناك تعرفهم**»[٣].

وقد انتفع شاعر أهل البيت عليهم السلام اسماعيل الحميري بهذه البشرى، حينما كان في حالة الإحتضار، فبدت في وجهه نكتة سوداء مثل نقطة من المداد، ثم لم تزل تزيد وتنمى حتى طبَّق وجهَه سوادُها، فاغتمَّ لذلك من حضره من محبِّيه، فلم يلبث بذلك إلاّ قليلاً حتى بدت في ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء، فلم تزل

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥٣.
(٢) الكفعمي، تقي الدين ابراهيم، مصباح الكفعمي، (لا.ط)، قم، الرضا، (لا.ت)، ص ٤٧٢.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ص ٢٠٠.

تزيد أيضاً وتنمى حتّى أسفر وجهه وأشرق، وافترَّ اسماعيل ضاحكاً مستبشراً وقال:

كذب الزاعمون أنّ علياً لن يُنجّي محبه من هناتِ
قد وربّي دخلت جنة عدنٍ وعفا لي الإله عن سيئاتي
فابشروا اليوم أولياء عليٍّ وتولّوا الوصي حتّى المماتِ
ثم من بعده تولَّوْا بنيه واحداً بعد واحدٍ بالصفاتِ

ثم أتبع قوله هذا: أشهد أن لا إله إلا الله حقاً حقاً، وأشهد أنّ محمداً رسول الله حقاً حقاً، وأشهد أنّ علياً أمير المؤمنين حقاً حقاً، وقبضت روحه[١].

ومن جميل ما ورد في حضور أهل البيت عليهم السلام عند المؤمن ما ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في قصّة مؤمن حضره ملك الموت وهو لا يرغب في الرحيل عن الدنيا فتكون النتيجة التالية: **«وجد عند رأسه محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله سيد النبيين من جانب، ومن جانب آخر علياً عليه السلام سيد الوصيين، وعند رجليه من جانب الحسن عليه السلام سبط سيد النبيين، ومن جانب آخر الحسين سيد الشهداء أجمعين، وحواليهم بعدهم خيار خواصهم ومحبيهم الذين هم سادات هذه الأمة بعد ساداتهم من آل محمد صلوات الله عليهم، ينظر إليهم العليل المؤمن، فيخاطبهم بحيث**

(١) المصدر السابق، ص ١٩٤.

يحجب الله صوته عن آذان حاضريه، كما يحجب رؤيتنا أهل البيت ورؤية خواصنا عن عيونهم؛ ليكون إيمانهم بذلك أعظم ثواباً لشدة المحنة عليهم منه. فيقول المؤمن: بأبي وأمي أنت يا رسول الله رب العزة! بأبي أنت وأمي يا وصي رسول الله رب الرحمة! بأبي وأمي أنتما يا شبلي محمد وضرغاميه وولديه وسبطيه، و يا سيدي شباب أهل الجنة المقرّبين من الرحمة والرضوان! مرحباً بكم معاشر خيار أصحاب محمد وعلي وولديه، ما كان أعظم شوقي إليكم، وما أشدّ سروري بكمْ الآن في لقائكم. يا رسول الله! هذا ملك الموت قد حضرني، ولا أشك في جلالتي في صدره؛ لمكانك ومكان أخيك مني. فيقول رسول الله ﷺ: كذلك هو. ثم يقبل رسول الله ﷺ على ملك الموت فيقول: يا ملك الموت، إستوص بوصية الله في الإحسان إلى مولانا وخادمنا ومحبنا ومؤثرنا. فيقول ملك الموت: يا رسول الله، مُره أن ينظر إلى ما قد أعدَّ الله له في الجنان. فيقول له رسول الله ﷺ: انظر إلى العلو، فينظر في العلو إلى ما لا تحيط به الألباب، ولا يأتي عليه العدد والحساب. فيقول ملك الموت: كيف لا أرفق بمن ذلك ثوابه، وهذا محمد وعترته زواره؟! يا رسول الله، لولا أنّ الله جعل الموت عقبة لا يصل إلى تلك الجنان إلا من قطعها لما تناولت روحه، لكنّ لخادمك ومحبِّك هذا أُسوة بك وبسائر أنبياء الله ورسله وأوليائه الذين أُذيقوا الموت بحكم

الله. ثم يقول محمد ﷺ: يا ملك الموت! هاك أخانا قد سلّمناه إليك، فاستوص به خيراً. ثم يرتفع هو ومن معه إلى روض الجنان، وقد كُشف الغطاء والحجاب لعين ذلك المؤمن العليل، فيراهم المؤمن هناك بعد ما كانوا حول فراشه» فيقول: «يا ملك الموت! الوحا الوحا، تناول روحي ولا تبقني هنا، فلا صبر لي على محمد وعترته، ألحقني بهم. فعند ذلك يتناول ملك الموت روحه، فيسلُّها كما تُسَلُّ الشعرة من الدقيق»[1].

أعمال المحتضر

و ردت جملة من الأعمال التي تخفّف من سكرات الموت، منها:

١- صلة الرحم: فعن الصادق عليه السلام: **«من أحب أن يخفّف الله عزّ وجل عنه سكرات الموت، فليكن لقرابته وَصولاً، وبوالديه باراً، فإذا كان ذلك هوّن الله عليه سكرات الموت، ولم يصبه في حياته فقرٌ أبداً»**[2].

وحول نفس المضمون رُوي: **«أنّ رسول الله ﷺ حضر شاباً عند وفاته، فقال له: قل لا إله إلا الله، فاعتقل لسانه مراراً فقال لامرأة عند رأسه، هل لهذا أم؟ قالت نعم أنا أمه. فقال ﷺ أفساخطة أنت عليه؟ قالت: نعم ما كلمته منذ ست حِجج، قال ﷺ: إرضي عنه.**

«قالت: رضي الله عنه برضاك يا رسول الله. فقال رسول الله: قل

---

(١) شبر، عبد الله، تسلية الفؤاد، ص ٥٧-٥٩.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، أمالي الصدوق، ط٥، بيروت، الأعلمي، ١٩٨٠م، ص ٣١٨.

لا إله الله. فقالها، سأله النبيﷺ: ما ترى؟ فقال: أرى رجلاً أسود، قبيح المنظر، وسخ الثياب، نتن الريح، قد وليني، فأخذ بكظمي، فقالﷺله، قل: يا من يقبل اليسير ويعفو عن الكثير، اقبل مني اليسير واعفُ عني الكثير، إنك أنت الغفور الرحيم. سأله النبيﷺ ماذا ترى، قال: أرى رجلاً أبيض اللون، حسن الوجه، طيب الريح، حسن الثياب...، لست أرى الأسود وأرى الأبيض قد وليني»[١].

ب-إطعام الأخ: فعن النبيﷺ: «من أطعم أخاه حلاوة أذهب الله عنه مرارة الموت»[٢].

ج- كُسوة الأخ: فعن الإمام الصادقعليه السلام: من كَسَا أخاه كُسوة شتاء أو صيف كان حقاً على الله أن يكسوه من ثياب الجنة وأن يهوّن عليه سكرات الموت وأن يوسّع عليه في قبره وأن يلقى الملائكة إذا خرج من قبره بالبشرى[٣].

المنقذ من العديلة

ورد في خصوص ما يُنجي من العديلة جملة أعمال يقوم بها المؤمن في حياته، نعرض منها:

١- تأدية الصلوات في أوقاتها: ففي حديث عن ملك الموت: «ليس في شرقها ولا في غربها أهل بيت مدر ولا وبر إلا وأنا

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧١ ص ٧٥.
(٢) المصدر السابق، ج ٦٣، ص٢٨٨.
(٣) المصدر السابق، ص٣٧٩.

أتصفحهم في كل يوم خمس مرات، ولأنا أعلم بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم». وعن رسول الله ﷺ: **«إنما يتصفحهم في مواقيت الصلاة، فإن كان ممن يواظب عليها عند مواقيتها لقنه شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ونحّى عنه ملك الموت إبليس»**[١].

٢- التسبيح بتسبيح الزهراء عليها السلام: «فعن الإمام أبي جعفر عليه السلام: من سبّح تسبيح الزهراء عليها السلام ثم استغفر غُفر له، وهي مئة باللسان، وألفٌ في الميزان وتطرد الشيطان وترضي الرحمن»[٢].

٣- عدم بذل نعم الله في معاصيه وعدم الاغترار بحِلم الله وإكرام من يذكر أهل البيت أو ينتحل مودتهم: فقد كتب الإمام الصادق عليه السلام إلى بعض الناس **«إن أردت أن يُختم بخير عملك حتى تُقبض، وأنت في أفضل الأعمال فعظّم لله حقه أن لا تبذل نعماءه في معاصيه، وأن تغتر بحلمه عنك، وأكرم كل من وجدته يذكرنا أو ينتحل مودتنا، ثم ليس عليك صادقاً كان أو كاذباً انما لك نيتك وعليه كذبه»**[٣].

د-التختم بالعقيق: وخصوصاً العقيق الأحمر.

آداب الإحتضار

وردت جملة من الأمور يُسْتَحَبُّ أن تُفعل حال احتضار الميت،

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، فروع الكافي ج٣، ص ١٣٦.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٨٢ ص ٣٣٢.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٥، ص١٩٥.

نصّ بعض منها أنها تخفف من سكرات الموت، منها:

١- **توجيه المحتضر إلى القبلة:** بحيث لو جلس كان وجهه إليها، وعند بعض الفقهاء أنّ هذا الأمر يجب كفايةً على الأحوط بل لا يخلو من قوة[١].

٢- **تلقين المحتضر الشهادتين والإقرار بالأئمة الأثني عشر وسائر الاعتقادات الحقة.**

٣- **تلقين المحتضر كلمات الفرج، وهي: «لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، سبحان الله رب السموات السبع، ورب الأرضين السبع، وما فيهنّ وما بينهنّ، ورب العرش العظيم، وسلام على المرسلين والحمد لله ربِّ العالمين»**

٤- **تلقين المحتضر دعاء: اللهم اغفر لي الكثير من معاصيك، واقبل مني اليسير من طاعتك، ويا من يقبل اليسير ويعفو عن الكثير، اقبل مني اليسير واعف عني الكثير، إنك أنت العفوُّ الغفور. واللهم ارحمني فإنك رحيم.**

٥- **نقل المحتضر إلى مصلّاه:** إذا اشتد عليه النزع بشرط أن لا يوجب أذاه.

٦- **قراءة سورة ياسين والصافات، وآية الكرسي:** إلى قوله تعالى: هم فيها خالدون[٢].

---

(١) الإمام الخميني، روح الله، تحرير الوسيلة، (لا، ط)، دمشق، سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ١٩٩٨م، ج١، ص٦١.

(٢) المصدر السابق، ص ٦١.

على طريق القبر

ليس الغريبُ غريبَ الشام واليمنِ إنّ الغريب غريب اللحد والكفنِ
سفري بعيد وزادي لن يبلّغني وقوتي ضعفت والموت يطلبني
ولي بقايا ذنوب لست أعلمها الله يعلمها في السرِّ والعلنِ
دعني أنوح على نفسي وأندبها وأقطع الدهر بالتذكير والحَزَنِ
دعني أسيح دموعاً لا انقطاع لها فهل عسى عبرةٌ منها تخلّصني
كأنني بين تلك الأهل منطرحٌ على الفراش وأيديهم تُقلِّبني
كأنني وحولي من ينوح ومن يبكي عليَّ وينعاني ويندبني
وقد أتوا بطبيب كي يعالجني ولم أرَ الطبيب اليوم ينفعني
واشتدَّ نزعي وصار الموت يجذبها من كلّ عرق بلا رفق ولا هون
واستخرج الروح مني في تغرغرها وصار ريقي مريراً حين غرغرني

ورد في الأحاديث أنّ هناك نداءات تواكب الإنسان في تجهيزه ومسيره إلى القبر.

نداء مفارقة الروح

النـداء الأول عند مفارقة الـروح، إذ يُنـادَى عندها بثلاث صيحات:

- **يا ابن آدم، أتركت الدنيا أم الدنيا تركتك؟**
- **أجمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك؟**
- **أقتلت الدنيا أم الدنيا قتلتك؟**[١]

إنها صيحات تعبِّر عن نتيجة الصراع بين الإنسان والدنيا، من هو الغالب؟ ومن هو المغلوب؟

وقد ورد في الأحاديث أنّ روح الإنسان بعد مفارقتها الجسد تبقى حوله تشاهد، لكن هذه المرة لا بالعين، تسمع، لكن هذه المرة لا بالأُذُن.

ففي بعض غزواته تقدَّم رسول الله ﷺ من بعض المشركين القتلى وقال لهم: «**هل وجدتم ما وعد الله حقاً**»؟

فقال له أحد أصحابه: يا رسول الله إنهم أموات فكيف تناديهم؟ فأجاب ﷺ «**إنهم أسمع منكم**»[٢].

ومن القصص المعبِّرة ما حدث بين العلّامة الجزائري وأستاذه الشيخ المجلسي صاحب البحار اللذين تعاهدا على أن يجيء من

(١) التوسيركاني، محمد نبي، لآلئ الأخبار، ج٤ ص ٢٤٠.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦ ص ٢٠٧.

يموت قبل الآخر إلى صاحبه في المنام، ويخبره عن حقيقة ما انكشف له من الصواب.

والسبب في هذه المعاهدة هو أنّ العلّامة المجلسي، مع علمه الغزير وتقواه الشديدة، كان يعيش في حياته عيشة الأغنياء من كثرة الحشم والخدم والقصور، وكان العلّامة الجزائري يعارض هذا النمط من الحياة.

وكان قضاء الله تعالى أن يموت المجلسي قبل الجزائري، وبعد أسبوع وفيما كان الأخير يزور قبر أستاذه ويقرأ القرآن ويدعو ويبكي، غلبه النعاس فنام، فرأى في عالم الرؤيا الشيخ المجلسي على أجمل صورة، فسأله عن حاله، فأجابه: يا ولدي، اعلم أني لما مرضت مرض الموت، أخذت العلة مني تتزايد وتشتد آناً فآناً، فبينما أنا في هذه الحالة، إذ أتاني آت في زي رجلٍ جليل، وجلس ووضع كفه على أصابع رجلي، وقال: ما ترى؟ هل سكن الوجع منك؟ قلت: أرى خفة وراحة في ما وضعت راحتك عليه، وشدة في ما يعلوه من بدني، فأخذ يرتقي شيئاً فشيئاً إلى الفوق...إلى أن بلغ موضع القلب من صدري، فرأيت الألم قد انتقل بالمرة من جسدي، وإذا بجسدي جثة ملقاة في ناحية بيتي، وأنا واقف بحذائه أنظر إليه مثل المتعجِّب الحيران، والأهل والأحبة والجيران من حول النعش في الصراخ والعويل يبكون ويندبون ويلتزمون الجسد بأنواع الشجون، وأنا كلما أقول لهم: ويحكم إنكم كنتم مشغولين عني...

والآن تندبون وتنوحون عليَّ، وقد ارتفع ما كان بي من ألم، وليس بي والحمد لله من بأس، ولا من سقم، وهم لا يستمعون قولي ولا يصغون إلى نصيحتي.

وتابع قصته إلى أن أُنزل في القبر فإذا بمنادٍ ينادي: يا عبدي، يا محمد الباقر، ماذا أعددت للقاء مثل هذا اليوم؟ وجعلتُ أعدِّد له ما صدر عني من الأعمال الحسنة وهو لا يقبل مني... ويعيد علي هذا النداء وأنا مضطرب، فتذكرت أني كنت يوماً مارًّا في السوق الكبير، فرأيت الناس قد اجتمعوا حول رجل من المؤمنين يضربونه ويسبونه ويطالبون منه حقوقهم، وهو لا يقدر على إعطائهم شيئاً، ويستمهلهم وهم لا يمهلونه...فصحتُ في وجوههم: ويحكم هلموا معي حتى أقضي ما كان لكم عليه من الدين، وحملته معي إلى المنزل، وأخذت في إعزازه وإجلاله، وقضيت ديونه... عرضت تفصيل ذلك على ربي فتقّبله مني، وغفر لي، وسكن النداء، وأمر لي بفتح باب من الرحمة تلقاء وجهي إلى جنات الخلود، يجيئني منه الرَّوْحُ والريحان، وطريق هواء الجنان في كل حين، ووُسِّع لي في مضجعي الذي تراه إلى حيث شاء الله، وأنا متنعِّم منذ ذلك الوقت بأنواع النعم... أستأنس بمن يجيء إلى زيارتي من المؤمنين، وأنتفع بدعوات الصالحين، وقراءات المتقين، وأراهم من حيث لا يرونني وأنا في هذا المقام الأمين «**فيا أيها السيد الشريف لو لم يكن لي العزَّة والعظمة في الدنيا، وما رأيتَ فيَّ من النعيم الأوفى، كيف**

كان يمكنني تأييد مثل ذلك المؤمن الفقير، وتخليصه من أيدي ذلك الخلق الكثير»[١]؟!.

نداء التغسيل

النداء الثاني من السماء يأتي وهو على المغتسَل، إذ يُنادى بثلاث صيحات:

يا ابن آدم:

- **أين بدنك القوي؟ ما أضعفك!**
- **وأين لسانك الفصيح؟ ما أسكتك!**
- **و أين أحباؤك؟ ما أوحشك!**[٢].

تصف الروايات شدة حال الميت حين يدخل عليه الغسّال فيخرج خاتم الشباب من أصابعه، وينزع قميص العروس عن بدنها، ويرفع عمامة المشايخ والفقهاء عن رؤوسهم، فعند ذلك تنادي روحه بصوت يسمعه كل الخلائق إلا الثقلين: يا غسَّال، بالله عليك أن تنزع ثيابي برفق؛ فأني الساعة قد استرحت من محاسبة ملك الموت، فإذا صُبَّ عليه الماء صاح كذلك: بالله عليك يا غسَّال تُعِدُّ ماءك عليَّ لا حر ولا برد، فإذا غُسّل يقول: بالله عليك يا غسَّال لا تمرَّ قوياً، فإن جسدي مجروح بخروج الروح.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج١٠٢، ص١٥٥.

(٢) التوسيركاني، محمد نبي، لآلئ الأخبار، ج٥، ص٢٤٠.

نداء التكفين

وإذا وُضع على الكفن نودي بثلاث:

- **تذهب بسفر بعيد بغير زاد.**
- **وتخرج من منزلك، فلا ترجع أبداً.**
- **وتصير إلى بيت أهول**[١].

إنّ الكفن هو جواب المال حينما يسأل الإنسان في آخر ساعة من ساعات الدنيا مالَه المتمثلَ بين يديه: ماذا لي عندك؟ فيأتيه الجواب: خذ مني كفنك[٢]، فمهما كان الإنسان غنياً مليئاً بالثروات فإنّ ما يأخذه من ماله إلى قبره يقتصر فقط على هذا الكفن الذي ينبغي للمؤمن أن يزينه بالعقيدة الطيبة والعمل الصالح.

ولعلّ ما ورد من استحباب كتابة دعاء الجوشن الكبير على الكفن هو في إطار التوسل بالعقيدة التوحيدية إلى الله تعالى من خلال الأسماء الألف المباركة فقد، ورد في الحديث أنّ من كتب هذا الدعاء على كفنه استحى الله أن يعذبه بالنار[٣].

كفن سلمان (رض)

ومن لطيف ما ورد أنه كُتِب على الكفن ما كتبه أمير المؤمنين عليه السلام على كفن سلمان المحمدي (الفارسي) «رض» وهو:

---

(١) المصدر السابق، ج٥، ص٢٤٠.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، فروع الكافي، ج٣، ص٢٣١.

(٣) النوري، حسين ، مستدرك الوسائل، ج٢ ص٢٣٢.

وفـدتُ على الكريم بغير زادٍ من الحسنات والقلبِ السليم
وحـملُ الـزاد أقـبـحُ كل شيء إذا كان الوفود على الكريم[١]

نداء التشييع

وإذا حمل الميت على الجنازة نودي بثلاث:

- **طوبى لك إن كان عملك خيراً.**
- **وطوبى لك إن كان صَحِبك رضوانُ الله.**
- **وويل لك إن كنت صَحِبَك سَخَطُ الله.**

وقد ورد عن الإمـام الصـادق عليه السلام «**إذا مـات المؤمن شيّعه سبعون ألف ملك إلى قبره**»[٢].

وعن هذا الأمر ورد أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لأمير المؤمنين عليه السلام بعد أن شيَّع المسلمون أحد الموتى: «**قد شيَّعه سبعون ألـف قبيل من الملائكة، كل قبيل سبعون ألف ملك، والله ما نال ذلك إلا بحبك يا علي**»[٣].

وبالمقابل ورد عن الإمامين الصادقين عليهما السلام: «**إذا مات الكافر شيَّعه سبعون ألفاً من الزبانية إلى قبره، وإنه ليناشد حامليه بصوت يسمعه كل شيء إلَّا الثقلَيْن، ويقول: لو أنّ لي كرَّةً فأكون من المؤمنين، ويقول:**

(١) الحكيم، محسن، مستمسك العروة الوثقى، ط٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٨، ج٤، ص١٨٢.
(٢) التوسيركاني، محمد نبي، لآلئ الأخبار، ج٤، ص٢٤٢..
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٣٩، ص٢٨٩.

ارجعوني لَعلّي أعمل صالحاً فيدما تركت، فتجيبه الزبانية، كلا إنها كلمة أنت قائلها، ويناديهم ملك: لو رُدَّ لعاد لما نهي عنه...»[١].

وتشييع جنائز المؤمنين من الأمور المستحبة أكيداً في الشرع الإسلامي فقد ورد في الحديث: **«من شيَّع جنازة فله بكل خطوة حتى يرجع مئة ألف ألف حسنة، ويُمحى عنه مئة ألف ألف سيئة، ويُرفع له مئة ألف ألف درجة»**[٢].

نداء الصلاة على الميت

وإذا وُضع الميت للصلاة نودي عليه بثلاث:

يا ابن آدم،

- **كل عمل عملته تراهُ الساعة.**
- **إن كان عملك خيراً تَرَهُ خيراً.**
- **وإن كان شراً تَرَهُ شراً.**

وقد شرّع الله تعالى الصلاة على الميت رحمة به، مشجعاً على أدائها تشجيعاً حثيثاً كما نلاحظ في الحديث: **«من صلَّى على ميت صلى عليه سبعون ألف ألف ملك وغُفر له ما تقدم من ذنبه»**[٣].

وهي عبارة عن خمس تكبيرات يُذكر بعد الرابعة الدعاء للميت لا سيّما **«اللهم إنا لا نعلم منه إلا خيراً»** بحيث يقصد المصلّي

(١) المصدر السابق، ج٦، ص٢٢٢.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٨ ص ٣٨٤.

(٣) المصدر السابق، ج٧٨، ص٣٤٨.

الشهادة بالنقاط المضيئة في حياة الميت ولو كانت عبارة عن عقيدته فقط.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: **«إذا حضر الميت أربعون رجلاً فقالوا: اللهم إنا لا نعلم منه إلا خيراً، قال الله تعالى: قد قبلت شهادتكم وغفرت له ما علمت مما لا تعلمون»**[١].

نداء القبر

وإذا وُضع الميت على شفير القبر نودي بثلاث:

يا ابن آدم،

- **كنت على ظهري ضاحكاً فصرت في بطني باكياً.**
- **وكنت على ظهري فرحاً فصرت في بطني حزيناً.**
- **وكنت على ظهري ناطقاً فصرت في بطني ساكناً.**

يُستحب أن يوضع الميت قبل القبر بذراعين أو ثلاثة ويُصبَر عليه هُنيهة ثم يُقَدَّمُ ويُصبَر عليه هُنيهة ثم يوضع على شفير القبر إمهالاً له قبل أن يسكن جسده مقّره الجديد.

رضوان الله على يونس الذي قال: حديث سمعته عن أبي الحسن عليه السلام ما ذكرته في بيت إلا ضاق عليَّ يقول عليه السلام: **«إذا أتيت بالميت إلى شفير القبر، فأمهله ساعة؛ فإنّه يأخذ أُهبته للسؤال»**[٢].

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، فروع الكافي، ج٣ ص٢٥٤.

(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، تحقيق عبد الرحيم الشيرازي، ط٥، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٣م، ج٢ ص ٨٣٨.

وحشة القبر

وأنزلوني إلى قبري على مهَلٍ وقدّموا واحـداً منهم يُلحّدني

ويكشفُ الثوب عن وجهي لينظرني وأُسبِلَ الدمع في عينيه أغرقني

وقال هلّوا عليه التراب واغتنموا حسن الثواب من الرحمن ذي المننٍ

في ظلمة القبر لا أمٌّ هناك ولا أبٌ شفيق ولا أخٌ يؤانسني

رأى رسول الله ﷺ أناساً مجتمعين فسأل أصحابه: علام اجتمعوا؟ فأجابوا: على قبر، فأسرع النبي ﷺ في الذهاب نحوه ثم جلس بجواره على ركبتيه وبكى حتى بلّت دموعه الثوب ثم قال: **«يا إخواني لمثل هذا اليوم فاستعدوا»**[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: **«أشد من الموت القبر، فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغربته: إنّ القبر يقول كل يوم: أنا بيت الغربة، أنا بيت التراب، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود والهوام»**[2].

---

(١) القمي، عباس، منازل الآخرة، ص ٤٤.

(٢) التوسيركاني، محمد نبي، لآلئ الأخبار، ج٥، ص١٨.

التحضير لساعة الوحشة

من هنا كان أولياء الله يتحدثون عن التحضير والتهيئة لمثل هذه الساعة فقد ورد عن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أنها لمَّا احتضرت أوصت علياً عليه السلام فقالت: «**إذا أنا مت فتولَّ أنت غسلي، وجهِّزني، وصلِّ عليَّ، وأنزلني في قبري، وألحدني، وسوِّ عليَّ، واجلس عند رأسي قبالة وجهي، فأكثر من تلاوة القرآن والدعاء؛ فإنها ساعة يحتاج الميت فيها إلى أنس الأحياء**»[1].

كما رُوي أنّ عيسى عليه السلام نادى أمه مريم عليها السلام بعد وفاتها: «**يا أماه هل تريدين أن ترجعي إلى الدنيا؟ قالت نعم، لأصلي لله في ليلة شديدة البرد، وأصوم يوماً شديد الحر، يا بني، فإنّ الطريق مخوف**»[2].

ونقل الشيخ بهائي رحمه الله عن بعض الحكماء أنه تحسَّر عند موته، فقيل له: ما بك؟

فقال: ما ظنكم بمن يقطع سفراً طويلاً بلا زاد، ويسكن قبراً موحشاً بلا مؤنس ويقدم على حكم عدل بلا حجة[3].

---

(١) القمي، عباس، منازل الآخرة، ص ٤٤.
(٢) المصدر السابق، ص١٣٠.
(٣) المصدر السابق، ص ٤٤.

المؤنس في وحشة القبر

يمكن الحديث عمَّا يؤنس المؤمن من وحشة القبر ضمن ثلاثة عناوين:

الأول: عقيدة الميت:

فقد رُوي عن أبي سعيد الخدري: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: «**يا علي، أبشر وبشّر، فليس على شيعتك حسرة عند الموت، ولا وحشة في القبور ولا حزن يوم النشور**»[1].

إنّ عقيدة الإنسان التي يضيف إليها عمله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[2] تُعبِّد للإنسان قبره وتذلِّل مسلكه إلى رَوْح وريحان، ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ما من قبر إلا وهو ينطق ثلاث مرات كل يوم: أنا بيت التراب، أنا بيت البلاء، أنا بيت الدود، فإذا دخله عبد مؤمن قال: مرحباً وأهلاً، أما والله لقد كنت أحبك وأنت تمشي على ظهري، فكيف إذا دخلت بطني، فسترى ذلك، فيفسح له مدّ البصر، ويفتح له باب يرى مقعده من الجنة، ويخرج من ذلك رجل لم تر عيناه شيئاً قط أحسن منه، فيقول: يا عبد الله، ما رأيت شيئاً قط أحسن منك، فيقول: أنا رأيك الحسن الذي كنت عليه، وعملك الصالح الذي**

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧، ص١٩٨.

(٢) سورة فاطر: الآية ١٠.

كنت تعمله. ثم تؤخذ روحه، فتوضع في الجنة حيث رأى منزله، ثم يُقال له: نم قرير العين، فلا يزالُ نفحة من الجنة تصيب جسده يجد لذتها وطيبها حتى يبعث»[١].

والمراد بالرأي الصالح هو العقيدة الصحيحة، أما العمل الصالح فمصاديقه وإن كانت كثيرة، لكن جملة منها تنفع بشكل خاص في وحشة القبر وهي التالية:

الثاني: أعمال الميت

١- الأنس بالله تعالى

لعل أول ما ينفع المؤمن لوحشته في قبره هو علاقته بالله تعالى، وقيامه بين يديه، ودعاؤه له، بحيث يشعر من أعماقه بأنس الله تعالى، وبصحبته، حيث يدعوه في أسحار الليالي وحده دون سامع غيره: **«يا عدتي في كربتي ويا صاحبي في شدتي»**[٢].

«إلهي إن كان قد دنا أجلي، ولم يقرِّبني منك عملي، فقد جعلت الاعتراف إليك بذنبي وسائلَ عللي، إلهي إن عفوت فمن أولى منك بالعفو، وإن عذبت فمن أعدل منك في الحكم، ارحم في هذه الدنيا غربتي وعند الموت كربتي وفي القبر وحدتي وفي اللحد وحشتي»[٣].

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ص٢٦٦.

(٢) القمي، عباس، مفاتيح الجنان، ص٢٢٥.

(٣) المصدر السابق، ص٢٢٢.

وقد ورد عن الإمام الصادقعليه السلام أنه كان يدعو الله تعالى: «**اللهم بارك لي في الموت، اللهم أعِنّي على سكرات الموت، اللهم أعنّي على غمّ القبر، اللهم أعني على ضيق القبر، اللهم أعني على ظلمة القبر، اللهم أعني على وحشة القبر...**»[١].

٢- إتمام الركوع

رُوي عن الإمام الباقرعليه السلام: «**من أتم ركوعه لم تدخله وحشة القبر**»[٢].

وأدنى إتمام الركوع هو أن يؤدِّيه صحيحاً على المستوى الفقهي فلا يكون كذلك الرجل الذي رآه النبيصلى الله عليه وآله وسلمفي المسجد ما أن يركع حتى يسجد حتى يقوم بسرعة مخلَّة بصحة الصلاة فعلّق النبي على صلاته قائلاً: «**نقر كنقر الغراب لئن مات وصلاته هكذا ليموتن على غير ديني**»[٣].

وأرقى الركوع التام هو ما عُبّر عنه بالركوع على الحقيقة الوارد في مصباح الشريعة عن الإمام الصادقعليه السلام في قوله: «**لا يركع عبد لله ركوعاً على الحقيقة، إلا زيَّنهُ الله تعالى بنور بهائه، وأظله في ظلال كبريائه، وكساه كسوة أصفيائه.**

---

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، تحقيق حسن الخرسان، ط٢، بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٥، ج٣، ص٩٣.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، فروع الكافي، ج٢، ص٣٢١.

(٣) المصدر السابق، ج٣، ص٢٦٨.

والركوع أولٌ، والسجود ثانٍ: فمن أتى بمعنى الأول، صلح الثاني. وفي الركوع أدبٌ وفي السجود قربٌ، ومن لا يحسن الأدب لا يصلح للقرب.

فاركع ركوعَ خاضعٍ لله بقلبه، متذلل وَجِلٍ تحت سلطانه، خافض له بجوارحه خفض خائفٍ حَزِنٍ على ما يفوته من فائدة الراكعين»[1].

٣- ذكر التوحيد ١٠٠ مرة

فقد ورد أنه «من قال في كل يوم مئة مرة: (لا إله إلا الله الملك الحق المبين) كان له أمان من الفقر ومن وحشة القبر واستجلب الغنى وفُتحت له أبواب الجنة»[2].

٤- سورة ياسين قبل النوم

«من قرأ سورة يس يريد بها وجه الله عزَّ وجل غفر الله له، وأُعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتي عشرة مرة، وأيما مريض قُرئت عنده سورة يس نزل عليه بعدد كل حرف منها عشرة أملاك، يقومون بين يديه صفوفاً، ويستغفرون له، ويشهدون قبضه، ويتبعون جنازته، ويصلون عليه، ويشهدون دفنه، وأيما مريض قرأها وهو في سكرات الموت، أو قُرئت عنده جاءه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة...»[3].

---

(١) النوري، حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط١، قم، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص٤٨٤.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٨٤ ص ٤.

(٣) النوري، حسين، مستدرك الوسائل، ج٤، ص٣٢٢.

٥- عيادة المريض

ففي الحديث: «من عاد مريضاً وكّل الله به ملكاً يعوده في قبره إلى محشره».

وعن أبي جعفر عليه السلام: «كان في ما ناجى به موسى عليه السلام ربه أنه قال: يا رب اعلمني ما بلغ من عيادة المريض من الأجر؟ قال عز وجل: أُوكلُ به ملكاً يعوده في قبره إلى محشره»[١].

الثالث: أعمال المؤمنين لأجل الميت

١- الصدقة

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يأتي على ميت ساعة أشد من أول ليلة فارحموا موتاكم بالصدقة»[٢].

٢- صلاة ليلة الوحشة

في إكمال الرواية السابقة:... «فإن لم تجدوا، فليصلِّ أحدكم ركعتين يقرأ في الأولى بفاتحة الكتاب مرة، وقل هو الله أحد مرتين، وفي الثانية فاتحة الكتاب مرة وألهاكم التكاثر عشر مرات، ويسلّم ويقول: اللهم صلّ على محمد، وآل محمدٍ وابعث

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٨، ص٢١٧.

(٢) المصدر السابق، ج٨٨، ص ٢١٩.

ثوابها إلى قبر ذلك الميت فلان بن فلان فيبعث الله من ساعته ألف ملك إلى قبره مع كل ملك ثوب وحلة ويوسع في قبره من الضيق إلى يوم يُنفخ في الصور ويُعطى المصلي بعدد ما طلعت عليه الشمس حسنات وتُرفع له أربعون درجة»[١].

وقد وردت صيغة أخرى لصلاة ليلة الوحشة هي أن: يصلي ركعتين يقرأ في الأولى الحمد وآية الكرسي مرة وفي الركعة الثانية الحمد مرة وإنا أنزلناه عشراً فإذا سلّم قال: «**اللهم صلِّ على محمد وآل محمد وأبعث ثوابها إلى قبر فلان**» ويذكر بدل فلان اسم الميت[٢].

حكاية عن أثر صلاة الوحشة

حكى الشيخ النوري قدس سره عن أستاذه الشيخ آبادي قدس سره أنه قال:

كانت عادتي أني كلما سمعت خبر وفاة شخص من محبي أهل البيت عليهم السلام أصلي له ركعتين ليلة دفنه سواءٌ كنت أعرفه أم لا ولم يكن يعرف أحد أني أفعل ذلك..

وذات يوم التقيت في الطريق بأحد أصدقائي فقال: رأيت البارحة في المنام فلاناً الذي توفي في هذه الأيام، فسألته عن حاله وعما جرى له بعد الوفاة فقال: كنت في شدة وبلاء.. وقد

---

(١) القمي، عباس، منازل الآخرة، ص٤٤-٤٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٥.

حُكم علي بالعقاب.. إلا أنّ الركعتين اللتين صلاهما فلان- وذكر اسمك- خلصاني من العذاب. رحم الله والديه على هذا الإحسان الذي أحسنه إلي.

قال السلطان آبادي: ثم سألني صديقي عن الصلاة التي صليتها فأخبرته بعادتي المستمرة تجاه الأموات[١].

(١) المصدر السابق، ص٤٥.

ضغطة القبر

من منازل القبر المهولة وعقباته الكؤود ما سُمي بـ ضغطة القبر وضمة القبر، وهذا ما يُستفاد من العديد من الروايات المنقولة عن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ رقية (بنت رسول الله أو ربيبته -على الخلاف-) لما ماتت قام رسول الله ﷺ على قبرها فرفع يده تلقاء السماء ودمعت عيناه، فقالوا: له يا رسول الله، إنا قد رأيناك رفعت رأسك إلى السماء ودمعت عيناك، فقال ﷺ: «**إني سألت ربي أن يهب لي رقية من ضمة القبر**»[1].

وسيأتي في قصة الصحابي الجليل سعد بن معاذ أنّ النبي ﷺ قال بعد لحده في القبر: «**إن سعداً قد أصابته ضمة**»[2].

وأيضاً ورد في قصة دفن السيدة الجليلة فاطمة بنت أسد (رض) أنّ النبي ﷺ نام في لحدها قبل دفنها، وعلّل ذلك بأنه أراد أن يكفيها ضغطة القبر بل ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنه ليس من مؤمن إلا وله ضمة**»[3].

وسيأتي استثناء لهذا التعميم.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٦، ص٢١٧.
(٢) المصدر السابق، ص٢٢٠.
(٣) المصدر السابق، ص٢٣٢.

ضغطة غير المدفون

ويبدو أنّ القبر لا ينحصر بالموضع الأرضي التحتي، بل يشمل الظرف الذي يكون فيه الإنسان حتى لو كان هوائياً، فقد ورد عن يونس أنه سأل الإمام عليه السلام عن المصلوب هل يُعذب عذاب القبر؟ فقال عليه السلام: **«نعم، إنّ الله عز وجل يأمر الهواء أن يضغطه»**[1].

كيفية ضغطة القبر

استظهر العديد من العلماء من النصوص الواردة في ضغطة القبر أنها عبارة عن ضم القبر لبدن الإنسان المادي بحيث يضغطه ضغطاً قوياً.

ومن تلك النصوص ما ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: **«إذا وُضع الميت في القبر وأُهيل التراب عليه يقول أهله وعياله: واسيِّداه، واشريفاه! فيقول الملك الموكل: أتسمع ما يقولون؟ فيقول: نعم، فيقول له: أنت كنت الشريف؟ فيقول العبد: هم يقولون ذلك، يا ليتهم سكتوا، فيضيق عليه القبر فيختلف أضلاعه وينادي في قبره: واكسرَ عظماه، واذُلَّ موقفاه، واموضع ندامتاه، واعنف سؤلاه!....»**[2].

وما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«إنّ الكافر إذا دُفن قالت الأرض: لا مرحباً ولا أهلاً، لقد كنت من أبغض من يمشي على**

(١) االكليني، محمد بن يعقوب، فروع لكافي، ج٣، ص٢٤١.
(٢) التوسيركاني، محمد نبي، لآلئ الأخبار، ج٥، ص٢٩.

ظهري، فإذا وليتك فستعلم كيف صنعي بك، فتضمه حتى تلتقي أضلاعه»[١].

إلا أنّ هناك اتجاهاً آخر يذهب إلى تفسير الضغطة بأنها عبارة عن صدمة المفاجأة عند الانتقال إلى العالم الآخر الجديد، وتفسير ذلك ينطلق من كون المحرِّك للإنسان وانفعالاته تجاه أي شيء هو مدى معرفته بذلك الشيء، فلو كنتَ جالساً في مكان ما وهناك أفعى سامة قربك تتجه نحوك، فأنت لن تنفعل مع هذا الحدث طالما لا تعرفه، ولم تلتفت إليه، ولم تحتمله، بينما لو علمت ذلك لأخذت حذرك، ولعلك تقوم مرتعداً.

وحينما يكون المؤمن الموالي الذي شغف قلبه بصاحب العصر والزمان عجل الله فرجه في الحج يطوف حول الكعبة الشريفة، قد يكون الإمام المهدي عجل الله فرجه يطوف جنبه، بل قد يكون المنكب لصيقاً بمنكبه المبارك، ومع ذلك طالما أنّ هذا المؤمن لم يعرف من يطوف قربه، فإنه لا يتفاعل، لكن ماذا يكون موقفه لو عرف أنّ خاتم الأوصياء عليه السلام إلى جانبه؟!!!

إذاً الذي يحرك الإنسان ليس الوجود الواقعي للشيء، بل معرفته بهذا الوجود.

وهذه المعرفة على درجات، والانفعال والتفاعل معها بحسب كل درجة.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ص٢١٩.

فلو أنّ إنساناً فتح باباً مغلقاً فوجد أمامه حيواناً مفترساً متأهباً فإنّ حالات انفعالاته تختلف على أساس الصور التالية:

١- أن لا يكون لديه أدنى احتمال بوجود مثل هذا الحيوان، فإنّ درجة انفعاله ستكون عالية جداً، وقد تؤدي إلى إغمائه وربما أكثر.

٢- أن يحتمل وجود مثل هذا الحيوان، وهنا من الطبيعي أن يكون عنده درجة من الاستعداد بحسب قيمة ذلك الاحتمال، ومن الواضح أنّ درجة انفعاله ستكون بحسب احتماله، ولكنها عادةً ستكون أقل من الصورة الأولى.

٣- أن يكون مطلعاً على وجود حيوان مفترس محنَّط لا حياة فيه لكن لم يره من قبل، فهنا حينما يفتح الباب ويراه فإنّ درجة من الانفعال قد تحصل عنده بحسب درجة اعتقاده، بل بحسب تحول ذلك الاعتقاد النظري العقلي إلى معرفة قلبية والتي هي الأساس في انفعال الإنسان وتفاعله.

إنّ هذه الصور قد توضح ذلك الاتجاه القائل بأنّ ضغطة القبر عبارة عن صدمة المفاجأة.

فمن لا يكون معتقداً بالأصل بالعالم الآخر، فإنّ ضغطة القبر ستكون عليه شديدة جداً جداً؛ لأنها المفاجأة الصعبة التي من خلالها يدخل إلى عالمه الجديد الذي لم يتهيأ له.

ومن يكون لديه احتمال بوجود عالم آخر لكنه غير يقيني، وبالتالي لا يكون قد أعد العدة اللازمة له، فإنه أيضاً سيتفاجأ

وبقدر احتماله ستكون مفاجأته أي ضغطة القبر، بخلاف من يكون على يقين بذلك العالم، وقد كتبه قلم عقله على لوح قلبه، فأعدَّ له الزاد المناسب، فهنا قد لا يتفاجأ فلا يكون أمام ضغطة قبر، بل استقبال عرائسي له من قبل الأرض المرحبة بقدومه والعالم الجديد التائق لانتسابه إليه.

وهؤلاء هم القلة الذين سأل عنهم أبو بصير الإمام الصادق عليه السلام، أيفلت من ضغطة القبر أحد؟ فقال عليه السلام: **«نعوذ بالله منها، ما أقلّ من يفلت من ضغطة القبر»**[1].

أسباب ضغطة القبر

على أساس الاتجاه السابق في كيفية ضغطة القبر، فإنّ السبب الأساس لها هو عقائدي معرفي، لكنّ الروايات أشارت إلى أسباب مسلكية لهذه الضغطة، والتي يمكن أن تتماشى مع ذلك التفسير باعتبار أنّ الانحراف المسلكي عن خط الكمال المستقيم يعبِّر في خلفيته عن ضعف في العقيدة، ووهن في المعرفة. ومن هذه الأسباب نذكر:

١- تضييع النعم:

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«ضغطة القبر للمؤمن كفارة لما كان منه من تضييع النعم»**[2].

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ص٢٦١.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص٢٢١.

٢- سوء الخلق مع الزوجة

فعن الإمام الصادق عليه السلام «أُتي رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل له: إنّ سعد بن معاذ قد مات، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وقام أصحابه معه، فأمر بغسل سعد، وهو قائم على عضادة الباب، فلما أن حُنط وكُفن وحُمل على سريره، تبعه رسول الله صلى الله عليه وآله بلا حذاء ولا رداء، ثم كان يأخذ يمنة السرير مرة، ويسرة السرير مرة، حتى انتهى به إلى القبر، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله حتى لحده وسوّى اللبن عليه، وجعل يقول: ناولوني حجراً، ناولوني تراباً رطباً، يسد به ما بين اللبن، فلما أن فرغ وحثا التراب عليه وسوى قبره، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني لأعلم أنه سيبلى، ويصل البلى إليه؛ ولكنّ الله يحب عبداً إذا عمل عملاً أحكمه، فلما أن سوّى التربة عليه قالت أُم سعد: يا سعد هنيئاً لك الجنة. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أم سعد، مه! لا تجزمي على ربك؛ فإنّ سعداً قد أصابته ضمة. فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله ورجع الناس؛ فقالوا له: يا رسول الله، لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على أحد، إنك تبعت جنازته بلا رداء ولا حذاء. فقال صلى الله عليه وآله إن الملائكة كانت بلا رداء ولا حذاء، فتأسيت بها. قالوا: وكنت تأخذ يمنة السرير مرة ويسرة السرير مرة. قال: كانت يدي في يد جبرائيل آخذ حيث يأخذ. قالوا: أمرت بغسله، وصليت على جنازته، ولحدته في قبره، ثم قلت:

إنّ سعداً قد أصابته ضمة! فقالﷺ: نعم إنه كان في خلقه مع أهله سوء[١].

٣- النميمة:

فعن الإمام عليعليه السلام: «**عذاب القبر يكون من النميمة**»[٢].

٤- عدم الاهتمام بالطهارة:

ورد أنّ من أسباب عذاب القبر، عدمَ الاحتراز من البول وعدم الاهتمام بالطهارة منه، ففي تكملة للحديث السابق عن الإمام عليعليه السلام: «**عذاب القبر يكون من النميمة والبول**»[٣].

ويتابع الحديث قائلاً «**وعزب الرجل عن أهله**» الذي يعني الابتعاد عنها وهذا ما يرجع إلى سوء الخلق مع الأهل.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ص٢٢٠.
(٢) الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع، ط١، بيروت، الأعلمي، ١٩٨٨، ج١، ص٣٦٠.
(٣) المصدر السابق.

المنجيات من ضغطة القبر

بعد التأكيد على أثر الاعتقاد بعالم الآخرة مما يزيل أو يخفف من صدمة المفاجأة التي مر الكلام عنها، فإنّ الروايات تحدَّثت عن أعمال عديدة تخفِّف من ضغطة القبر وعذابه، ويمكن أن نعرضها ضمن العناوين التالية:

أ- أعمال المؤمن

١- صلاة الليل

وردت روايات كثيرة تبين فضائل صلاة الليل، فهي شرف المؤمن كما وردت عن الإمام الصادق عليه السلام: **«شرف المؤمن صلاة الليل»**[1]، وهي سراج الأرض لأهل السماء فعن الإمام الصادق عليه السلام: **«إنّ البيوت التي يُصلّى فيها بالليل بتلاوة القرآن تضيء لأهل السماء كما تضيء نجوم السماء لأهل الأرض»**[2]، وهي: «**تحسّن**

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، فروع الكافي، ج٣، ص٤٨٨.
(٢) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، تعليق حسين الأعلمي، ط١، بيروت، ١٩٨٦، ج١، ص٣١٧.

الوجه، وتحسّن الخلق، وتُطيّب الريح، وتقدر الرزق، وتقضي الدين، وتذهب بالهمّ، وتجلو البصر» كما ورد ذلك كله عن الإمام الصادق عليه السلام.

إضافة إلى ذلك فإنّ لصلاة الليل أثراً في نجاة المؤمن من ضغطة القبر، فعن الإمام الرضا عليه السلام: «**عليكم بصلاة الليل، ما من عبد يقوم آخر الليل، فيصلي ثماني ركعات، وركعتي الشفع، وركعة الوتر، واستغفر لله في قنوته سبعين مرة، إلا أُجير من عذاب القبر ومن عذاب النار، ومُدَّ له في عمره، ووُسِّع له في معيشته**»(١).

٢- الوضوء

فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «**رأيت رجلاً من أمتي قد بُسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوؤه فمنعه منه**»(٢).

٣- الإدمان على قراءة الزخرف

فعن الإمام الباقر عليه السلام: «**من أدمن قراءة حم الزخرف آمنه الله في قبره من هوامّ الأرض وضغطة القبر**»(٣).

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٨٤، ص١٦١.
(٢) المصدر السابق، ج٧، ص٢٩٠.
(٣) القمي، عباس، منازل الآخرة، ص ٥٤.

٤- قراءة «ن والقلم» في الصلاة

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**من قرأ سورة ن والقلم في فريضة أو نافلة آمنه الله عز وجل من أن يصيبه فقر أبداً، وأعاذه الله إذا مات من ضمة القبر**»[١].

٥- ركعتان ليلة الجمعة

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من صلى ليلة الجمعة ركعتين يقرأ فيهما بفاتحة الكتاب، وإذا زلزلت الأرض زلزالها خمس عشرة مرة آمنه الله من عذاب القبر، ومن أهوال يوم القيامة**»[٢].

٦- زيارة الإمام الحسين عليه السلام

فعن الإمام أبي جعفر عليه السلام عن ثواب زائر الإمام الحسين عليه السلام:

«**من أتاه تشوقاً كتب الله له ألف حجة متقبلة، وألف عمرة مبرورة وأجر ألف شهيد من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب صدقة مقبولة وثواب ألف نسمة أريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظاً سنتَه من كل آفة أهونُها الشيطان، ووُكِّل به ملك كريم يحفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوق رأسه ومن تحت قدمه، فإن مات سنتَه حضرته ملائكة الرحمة يحضرون غسله وأكفانه والاستغفار له، ويشيعونه إلى قبره بالاستغفار له، ويفسح**

---

(١) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ط٢، قم، ١٣٦٨هـ.ش، ص١١٩.
(٢) القمي، عباس، منازل الآخرة، ص٥٧.

له في قبره مدّ بصره، ويؤمنه الله من ضغطة القبر ومن منكر ونكير أن يروّعاهُ، ويُفتح له باب إلى الجنة، ويُعطى كتابه بيمينه، ويُعطى له يوم القيامة نور يضيء لنوره ما بين المشرق والمغرب، وينادي مناد: هذا من زوار الحسين شوقاً إليه، فلا يبقى أحد يوم القيامة إلا تمنى يومئذ أنه كان من زوار الحسين عليه السلام»[1].

٧- قراءة سورة التكاثر عند النوم

فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: **«من قرأ ألهاكم التكاثر عند النوم وُقي فتنة القبر»**[2].

٨-١٥- ومن الأعمال المنجية من ضغطة القبر ما ورد عن الفقيه

من أراد أن ينجو من عذاب القبر فعليه أن يلازم أربعة أشياء ويجتنب عن أربعة أشياء.

أما الأربعة التي يلازمها فهي:

- محافظة الصلاة.
- والصدقة. (وفي خصوص الصدقة ورد في الحديث الشريف: **«صدقة المؤمن تدفع عن صاحبها آفات الدنيا وفتنة القبر وعذاب يوم القيامة)**.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٨، ص١٨.
(٢) التوسيركاني، محمد نبي، لآلئ الأخبار، ج٥، ص٢٧..

- وقراءة القرآن.
- وكثرة التسبيح.

وأما الأربعة التي يجتنبها فهي:

- الكذب.
- والخيانة.
- والنميمة.
- والبول (أي مراعاة الطهارة من البول كما ذكرناه سابقاً).

ب- أعمال المؤمنين لأجل الميت

رحم الله تعالى المؤمن في قبره بفسحة نجاة يقوم بها غيره من المؤمنين الذين يشير اهتمامهم بالميت إلى كرامة له عندهم تكون محلاً لرحمة الله تعالى، ومن جملة هذه الأعمال:

١ - الجريدتان:

وهما عودان رطبان بمقدار عظم الذراع يوضعان مع الميت، إحداهما من الترقوة اليمنى ملاصِقةً بالجلد، والأخرى من الترقوة اليسرى فوق القميص. والأفضل أن تكون من جريد النخيل.

وقد ورد أنّ النبيﷺ مرَّ على قبر يُعذَّب صاحبه فطلب جريدة فشقَّها نصفين، فوضع أحدهما فوق رأسه، والآخر عند رجليه، وقال: «**يُخفَّف عنه العذاب ما داما رطبين**»[1].

---

(١) اليزدي، العروة الوثقى، ج١، ص ٤٤٢.

٢- رش الماء على قبره

فعن الإمام الصادق عليه السلام في مقام الحديث عن رش الماء على القبر قال: «**يتجافى عنه العذاب ما دام الندى في التراب**»[١].

٣- قراءة سورة الملك على القبر:

فقد روى الراوندي عن ابن عباس أنّ رجلاً ضرب خباءه على قبر، ولم يعلم أنه قبر، فقرأ «**تبارك الذي بيده الملك**» فسمع صائحاً يقول: هي المنجية، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «**هي المنجية من عذاب القبر**»[٢].

٤- الدعاء عند الدفن

فقد رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما من أحد يقول عند قبر ميت إذا دُفن -ثلاث مرات- اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد أن لا تعذب هذا الميت، إلا رفع الله عنه العذاب إلى يوم ينفخ في الصور**»[٣].

٥- تربة كربلاء

فقد ورد في النصوص الشريفة الآثار الخاصة للتربة الحسينية المباركة، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**السجود على تربة الحسين عليه السلام يخرق الحجب السبعة**»[٤].

---

(١) الصدوق، علل الشرائع، ج١ ص٣٥٧.
(٢) القمي، عباس، منازل الآخرة، ص٥٧.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٨٢، ص١٥٣.

وعنه عليه السلام: **«السُبحة التي هي من طين قبر الحسين عليه السلام تسبّح بيد الرجل من غير أن يسبّح»**[١].

وعنه عليه السلام: **«حنكوا أولادكم بتربة الحسين فإنه أمان»**[٢].

وعنه عليه السلام: **«أين أنت عن طين قبر الحسين بن علي عليه السلام شفاء من كل داء»**[٣].

وعنه عليه السلام: **«أين أنت عن طين قبر الحسين بن علي عليه السلام فإن فيه أمناً من كل خوف»**[٤].

ولأجل خصوصية هذه التربة يحرص المؤمنون على وضع شيء منها مع الميت في قبره؛ ليأمن من أهوال القبر وعذابه.

قصة معبّرة

وقد ورد في بركات تربة كربلاء ودفعها للعذاب قصة معبِّرة لرجل كان في بداية أمره من أسرة معادية لأهل البيت، وهو الشيخ علي الخلعي الذي كانت له أم لا يعيش أولادها، لذا كان من عادتها أنها تختار لأولادها الأسماء الممقوتة، مثل كبش وكبشه وجحش وضب وخنفس، حتى لا يتكرر سماعها له بعد موته من غيره، فلما وُلد الخلعي لم تجد من اسمٍ أبغض إلى قلبها من اسم علي، فإنه إذا مات لم تحزن على موته وإن عاش أمكن استبدال غيره به.

(١) المصدر السابق، ج٩٨، ص١٣٢.
(٢) المصدر السابق، ص١٢٤.
(٣) المصدر السابق، ص١١٨.
(٤) المصدر السابق، ص١١٨.

وببركة هذا الإسم الكريم كتب الله له الحياة وعاش حتى تجاوز السن التي توفِّي فيها إخوته، فنذرت أمه أنه إذا بلغ مبالغ الرجال أن تحبسه وقفاً على القيام بما تعتقد أنه أفضل الأعمال، وهو يتعلق بمواجهة زائري الإمام الحسين عليه السلام.

وجاءت به أمه لأداء النذر إلى الطريق التي تدخل كربلاء من ناحية المسيّب ليلة الجمعة، ومعه السلاح والعدة لمهاجمة الزائرين إذا قدموا إلى كربلاء، فأسند ظهره إلى جذع نخلة على تلك الطريق ينتظر قدوم أحد من الزوار ليقوم بما أُسند إليه، فغلب عليه النعاس لطول الانتظار ونام، فمرت به قافلة من قوافل الزائرين، فوقع عليه غبار دوابّهم، وهو في نومه فرأى في المنام كأنّ القيامة قامت، وقد احتوشته الزبانية تسوقه إلى جهنم لعزمه على مساءة زوار قبر الحسين، وأنزلوه في شعلة منها موثقاً فلم يحسّ إلا وثاقه أحرقته، فانطلق منه ولم تصل إلى جسمه أو ثيابه، فتعجب الملائكة من ذلك وسألت رئيسهم (مالك) عن السر، فقال: احضروه إليَّ فلما حضر قال: إنه في حصن وحجاب من النار، وهو هذا الغبار الذي وقع على جسده وثيابه من تراب كربلاء فهو تراب امتزج من دماء الشهداء من العترة الطاهرة فكيف تصل النار إليه؟!

فلما انتبه عدل عما أُريد له، ودخل كربلاء، وتشيع وأدَّى نذر أمه بقيامه في سدانه مشهد الحسين عليه السلام، وكانت له موهبة شعرية مجيدة فوقفها على مدح أهل البيت ومراثيهم وكان أول ما أنشد:

إذ شئت النجاة فزر حسيناً غـداً تلقى الإلـه قـريـر عين
فليس يمس حر النـار جسماً عليه غبار زوار الحسين[(١)]

ج- زمن الموت

لا يخفى أنّ لبعض الأزمنة خصوصية معنوية، ومباركة خاصة من الله تعالى، فالأشهر كلها لله، لكنّ شهر رمضان هو الأول في انتسابه إلى الله تعالى، والأيام كلها لله، لكنّ يوم الجمعة هو سيد الأيام، والليالي كلها لله، لكنّ ليلة القدر أعظم الليالي.

ومن ضمن الأوقات المباركة هو الوقت الواقع بين زوال الخميس وزوال الجمعة، وقد ورد أنّ له بركة خاصة في رفع عذاب القبر.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**من مات ما بين زوال الشمس من يوم الخميس إلى زوال الشمس من يوم الجمعة أعاذه الله من ضغطة القبر**»[(٢)].

د- مكان الدفن

حال الأمكنة كالأزمنة فكلها لله تعالى، لكنّ الله تعالى اختار من كل شيء شيئاً، فاختار من الأرض مكة، واختار من مكة المسجد الحرام، واختار من المسجد الحرام الموضع الذي فيه الكعبة. ومن تلك الأمكنة المباركة ما له أثر في رفع عذاب القبر ألا وهو الدفن في النجف الأشرف، وسيأتي الحديث عنه لاحقاً بإذنه تعالى.

---

(١) الأميني، عبد الحسين، الغدير في الكتاب والسنة والأدب،(لا،ط)، بيروت، دار الكتاب العربي،(لا،ت) ج٦، ص١٢،١٣.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ٢٢١.

أسئلة القبر

أكدت الروايات الواردة عن أهل العصمة عليهم السلام أنّ هناك جملة من الأسئلة تُوجَّه إلى الميت في قبره، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**من أنكر ثلاثة أشياء، فليس من شيعتنا: المعراج والمساءلة في القبر والشفاعة**»[1].

من هو السائل؟

تحدثت الروايات أنّ الذي يسأل الميت في قبره ملكان يُقال لهما منكر ونكير أو ناكر ونكير، وبعض الأخبار أنّ اسمي الملكين اللذين ينزلان على الكافر ناكر ونكير، واسمي الملكين اللذين ينزلان على المؤمن مبشِّر وبشير؛ باعتبار أنّ الكافر ينكر الحق، بينما المؤمن يبشَّر من الله تعالى بالرضا والثواب المقيم[2].

---

(١) الحر العاملي، الفصول المهمة في أصول الأئمة، تحقيق محمد القائيني، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٣، ج١ ص ٣٦٠.

(٢) شبر، عبد الله، تسلية الفؤاد، ص١٠٢-١٠٣.

من يُسأل في القبر؟

كما ورد أنّ الأسئلة الموجَّهة في القبر لا تعمّ كل الموتى بل خصوص طائفتين منهم، الأولى: هم المتمحِّضون في الإيمان والثانية: هم المتمحِّضون في الكفر، أما غير هاتين الطائفتين فيبقون في قبورهم دون مساءلة إلى يوم النفخ في الصور، ففي صحيحة محمد بن مسلم عن الإمام الصادق عليه السلام **«لا يُسأل في القبر إلا من محض الإيمان أو من محض الكفر»**[١]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: **« لا يُسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر محضاً، والآخرون يلهون عنهم»**[٢].

المسؤول: الجسد أو الروح؟

ورد أنّ الملكين قبل سؤال الميت يلقيان بإذن الله تعالى الروح إلى حقويه، فيقعدانه ويسألانه[٣].

ما هي أسئلة القبر؟

ورد في الأحاديث أنَّ هناك أربعة أسئلة عقائدية تُوجَّه إلى الميت وهي:

١. من ربّك؟

٢. ما دينك؟

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، فروع الكافي، ج٣، ص٢٣٥.

(٢) المصدر السابق، ج٣، ص٢٣٥..

(٣) المصدر السابق، ج٣، ص٢٣٩.

٣. من نبيُّك؟

٤. من إمامك؟

فقد ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام: «**يُقال للمؤمن في قبره: من ربك؟ قال: فيقول: الله. فيُقال له: ما دينك؟ فيقول: الإسلام. فيقال له: من نبيك؟ فيقول: محمد. فيقال: من إمامك؟ فيقول: فلان. فيُقال كيف علمت بذلك؟ يقول: أمر هداني الله له وثبَّتني عليه. فيُقال له: نم نومة لا حلم فيها، نومة العروس. ثم يُفتح له باب إلى الجنة فيدخل عليه من رَوْحها وريحانها، فيقول: يا رب، عجِّل قيام الساعة**[١]... .

أما الكافر فيصف حالَه الإمام الصادق عليه السلام: بأنّ الملكين «**يقعدانه ويلقيان فيه الروح إلى حقويه، فيقولان له: من ربك؟ فيتلجلج ويقول: قد سمعت الناس يقولون. فيقولان له: لا دريت، ويقولان له: ما دينك؟ فيتلجلج، فيقولان له: لا دريت، ويقولان له: من نبيك؟ فيقول سمعت الناس يقولون، فيقولان له: لا دريت، ويُسأل عن إمام زمانه. فينادي منادي السماء: كذب عبدي، افرشوا له في قبره من النار، وألبسوه من ثياب النار، وافتحوا له باباً إلى النار، حتى يأتينا وما عندنا شرّ له، فيضربانه بمرزبة ثلاث ضربات ليس منها ضربة إلا يتطاير قبره ناراً لو ضرب بتلك المرزبة جبال تِهامة لكانت رميماً**»[٢].

(١) شبر، عبد الله، تسلية الفؤاد، ص ٩٥ – ٩٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٧.

وقفة مع الأسئلة العقائدية

السؤال الأول: من ربّك؟ وليس من خالقك؟

لأنّ المشكلة الأساسية في الإنسان عبر التاريخ لم تكن في الإيمان بالخالق بل في المدير والرب ومن يُتوجَّه إليه في إدارة شؤون الحياة. لذا نلاحظ أنّ القرآن الكريم حينما يتحدث عن مشركي مكة يقول ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[1].

فهم لم يشركوا في الخالقية، بل كانوا يشركون في الربوبية باعتقادهم أنّ الأصنام هم أرباب مستقلون دون الله سبحانه وتعالى.

ومن الواضح ما للاعتقاد بالربوبية من آثار مسلكية، فمن يؤمن بأنّ الله تعالى هو ربّه ومدير أموره وأمور كل الحياة فإنه سيتوجه إليه في كل شيء، ويقتصر على تعامله مع الآخرين على أساس توسيط الله لهم في ما يريده من نتائج.

قصة معبِّرة

وردت قصة معبِّرة عن الشعور بربوبية الله تعالى، وهي أنَّ أحد الأشخاص كانت له حاجة قيل له: لا يقضيها لك إلا الملك وكان

(١) سورة لقمان: الآية ١٥.

قصر الملك بعيداً جداً عن بلدته، فقطع السهول والأودية والجبال حتى وصل إلى قصر الملك، وأراد لقاءه، فقيل له: انتظر، فانتظر وطال انتظاره على باب القصر، فسأل عن سبب ذلك، فقيل له: إنّ الملك يصلّي، وحينما ينتهي من صلاته نأذن لك في الدخول. تفاجأ الرجل، فكَّر في الأمر، ثم همَّ بالرحيل، سئل عن سبب ذلك، ولمَ أعرض عن لقاء الملك بعدما قطّع المسافة الطويلة؟ فأجاب: إنّ لي حاجة اعتقدت أنها لا تُقضى إلا من خلال الملك، فجئت إلى الملك فوجدته يطلب حاجته من الله، فقررت أن أطلب حاجتي ممن يطلب الملك منه قضاء حاجته.

السؤال الثاني: ما دينك؟

الدين يمثل المعتقدات والمسلكيات التي تشمل كل أنحاء الحياة، ويؤدي التدين بها إلى سعادة الدارين للفرد والمجتمع. والدين هو الذي يجيب عن السؤال الأساس الذي مرّ في البداية، فهو الذي يرشد إلى ما يحتاج إليه السالك للوصول إلى الكمال. ودين الله واحد منذ آدم إلى اليوم، إلا أنّ تدرج المجتمعات البشرية اقتضت أن تتعدد الرسالات الإلهية بحسب ما تتحمل تلك المجتمعات، إلى أن وصل المجتمع البشري إلى مرحلة يستطيع فيها تحمّل الرسالة الخالدة، فكانت رسالة الإسلام بقرآنها المعجزة الخالدة.

السؤال الثالث: من نبيّك؟

لقد بعث الله النبيين المتصلين بالله تعالى ليبلغوا دين الله ورسالته، وليكون لهم الدور الأساسي في تفعيل هذا الدين، وهدي الناس إلى الله تعالى، فتغيير المجتمعات البشرية لا يتم فقط من خلال وجود المعلومات التي هي بمثابة خريطة طريق إلى الكمال الإنساني، بل لا بد من قدوة يكون لها الأثر في سير الناس على تلك الطريق. من هنا عبَّر أحد المستشرقين عن سرِّ امتداد وانتشار الدين الإسلامي، بأنه لو اقتصر الإسلام على القرآن الكريم دون سيرة النبي الأعظم ﷺ لما كان الإسلام قد خطا تلك الخطوات.

وهذا الأمر يجعلنا أمام مسؤولية في التعرّف أكثر على نبينا محمد ﷺ وعلى سيرته الحياتية في الجوانب المتعددة، وأن نعمل ليكون قدوة لنا ولأولادنا في سيرنا الحياتي نحو الكمال، ولعل ما ورد من تسمية الأبناء باسم محمد ﷺ يساعد على هذا الإقتداء، فقد ورد عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «**من ولد له ثلاثة بنين ولم يسمِّ أحدهم محمداً فقد جفاني**»[١] وفي حديث آخر عنه ﷺ: «**البيت الذي فيه اسم محمد يصبح أهله بخير ويمسون بخير**»[٢].

بل ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: لا يولد لنا مولود إلا سميناه محمداً، فإذا مضى سبعة أيام، فإذا شئنا غيَّرنا، وإلا تركنا[٣].

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ١٠١، ص١٣٠.
(٢) المصدر السابق، ج ١٠١، ص١٣٠.
(٣) المصدر السابق، ج ١٠١، ص١٣١.

السؤال الرابع: من إمامك؟

إنّ قضية الإمامة في الإسلام ترتبط بعدة عوامل منها الحاجة إلى القيادة الاجتماعية الأكفأ، ومنها ما يعود إلى الدين وهو حفظ الشريعة وتبليغها، فإنّ إلقاء نظرة فاحصة على مرحلة تبليغ السنَّة النبوية المباركة يوقفنا أمام أمر مهم جداً، فمرحلة تبليغ السنّة النبويّة دامت ثلاثاً وعشرين سنة قضى منها النبيُّ الأعظم ثلاثَ عشرةَ سنةً في مكّة، وعشرَ سنوات في المدينة المنوّرة.

أمّا في السنوات المكّيَّة الثلاثَ عشرة، فلم يؤمن بالنبيّ إلاّ عدد قليل لم يتجاوز عددهم أربعمائة مسلم على الأكثر[1].

وكان أغلبهم من المستضعفين المضطهدين ممَّا أدّى إلى هجرة الكثير منهم (٧٠ عائلة) إلى الحبشة مرّتين، وبالتالي انفصالهم المباشر عن تلقّي الدعوة الإسلاميّة من النبيّ محمّد ﷺ وفي هذه السنوات المكّيَّة كان المشركون يضيّقون على النبيّ ﷺ والمسلمين الباقين معه تضييقاً شديداً، ويمنعونه من تبليغ دعوته للآخرين، حتى وصل الأمر بهم إلى محاصرته مع جملة من الهاشميّين في شِعْبِ أبي طالب ثلاث سنوات حيث كانت المجاعة الشديدة...

إنّ الناظر في هذه المرحلة المكّيَّة يُدرك بوضوح أنّ الفرصة لم تسنح للنبيّ إلاّ تبليغ أساسيّات الاعتقادات والبعض القليل من جوانب الشريعة، كما يُلاحظ القارئ للآيات القرآنيّة النازلة في مكّة.

---

(١) انظر: المطهري، مرتضى، الإمامة، ترجمة كسَّار ط١، قم، منشورات أم القرى، ص ٧٧.

وممّا يؤكّد هذا الواقع أنّ فريضة الصوم، وهي من أوائل فروع الدين، لم تنزل في مكّة بل في المدينة.

وانتهت هذه السنوات المكّيَّة بهجرة النبيّ إلى يثرب ليقضي فيها عشر سنوات كانت مليئة بالحروب والغزوات وما شابه، إضافة إلى الخلافات التي حصلت بين القبائل من داخل المجتمع الإسلاميّ الجديد. وقد سجّل التاريخ في الفترة المدنيّة النبويّة وقوع أكثر من ثمانين معركة وغزوة وإرسال سرايا وما شابه، وكان النبيّ هو القائد العسكريّ المباشر لها.

ومن والواضح أنّ هذه الحروب والغزوات شكَّلت معوِّقات أمام تبليغ تفاصيل الشريعة الإسلاميّة والسنَّة النبويّة الشريفة.

يقول الشهيد المطهّري: **«وإذا أردنا أن نغضَّ النظر عن الواقع الكائن في مكّة والمدينة، ونفترض أنّ رسول الله سلك في هذه السنوات الثلاث والعشرين من البعثة نهج المعلِّم الذي لا شأن له إلاَّ الذهاب إلى الصفّ وتعليم الناس، فمع ذلك لم يكن هذا الوقت وافياً كي يُبيِّن النبيّ للناس جميع ما ينطوي عليه الإسلام، فكيف إذا أضفنا لذلك التاريخ ... الذي امتصَّ جلَّ أوقات النبيّ ﷺ خصوصاً بشأن دين كالإسلام يبسط حاكميَّته على جميع شؤون حياة البشر؟»**[1].

(١) المطهري، مرتضى، الإمامة، ص٧٧.

الحلّ: ولاية الحُجَج

إذاً لا بدَّ من حلٍّ يتسنَّى من خلاله للنبيّ أن يبلِّغ ويحفظ سنَّته الشريفة التي تمثّل مع القرآن الكريم توأم التشيُّع الكامل.

فكان الحلّ الإلهيّ يتمثّل بتربية إلهيّة لشخصٍ استثنائيّ يكون وعاءً لعلم النبيّ ومستودعاً لسنَّته وحافظاً للدين الحنيف. وكان هذا الشخص هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فكان محلَّ الفيض الإلهيّ والتعليم النبويّ.

وهذا ما يعطينا التفسير الواضح لتلك الجلسات الطويلة بين محمّد وعليّ عليهما السلام وتلك الملازمة الشديدة بينهما التي كان يعبِّر عنها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «**ولقد كنت أتبعه اتّباع الفصيلِ أَثَرَ أُمّه**»، وكان النبيّ كما يخبر عنه علي: «**إذا سألت رسول الله أجابني وإن فنيت مسائلي ابتدأني**»[1].

وأكَّدت الروايات أنّ هذا التعليم الخاصّ كان بأمر إلهي، فقد روى أبو نُعَيْم الحافظ الشافعي (ت ٤٣٠هـ) بإسناده عن رسول الله: «**يا علي، إنّ الله عزّ وجلّ أمرني أن أدنيك وأعلّمك لتعيَ وأنزلت هذه الآية (وتعيها أذن واعية) وأنت أذن واعية للعلم**»[2].

---

(١) الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات في فضائل آل محمد، تعليق ميرزا محسن التبريزي (لا.ط) قم، بصيرتي، ١٤٠٤هـ، ص١٩٨.

(٢) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج١، ص٦٧.

- الجويني، فرائد السمطين، تحقيق المحمودي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ، ج١٢، ص١٣٦.
- الحلي، كشف اليقين، تحقيق علي آل كوثر، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ط١، قم، ص٥٢.
- انظر: بركات، أكرم، حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة، ط٤، بيروت، دار الصفوة، ص١٤٦.

ولأجل هذا الدور الإلهيّ في إكمال تبليغ الشريعة الإلهية والسنَّة النبويّة حدَّد النبيّ أنّ للشريعة مدخلاً وأنّ لعلمه باباً، من أراد أن يغترف لا بدَّ أن يدخل منه فقال: «**أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها**»(١).

ولم تكن فترة حياة أمير المؤمنين-لا سيَّما في الظروف التي أحاطت بها-كافية لأداء هذا الدور الكبير في إكمال تبليغ السُنَّة النبويّة، فخزَّن أمير المؤمنين تفاصيل الشيعة الطاهرة في الحسن والحسين ليكونا الحافظين لسنة رسول الله ﷺ ومبلغيها، وهذا ما يكشف لنا سرَّ قول النبيّ الذي اشتُهر به: «**الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا**»(٢).

وشاءت الإرادة الإلهيّة أن تنتقل هذه السنَّة المطهّرة من صدور طاهرة بعد أن يقوم كلّ إمام بدوره الرائد، فأودع الحسين علوم الإسلام في ابنه زين العابدين، وهو في الباقر، والباقر في الصادق، والصادق في الكاظم، والكاظم في الرّضا، والرّضا في الجواد، والجواد في الهادي، والهادي في العسكري، والعسكري في قائم أهل البيت الحُجّة المهديّ، لتكتمل به سلسلة النور، وليكون أئمَّة أهل البيت عليهم السلام مع القرآن توأم التشريع الذي خلَّفه رسول الله وأمر أمته بالتمسّك به حينما قال: «**إنّي تارك فيكم الثَّقلَيْن**

---

(١) الترمذي، الجامع الصحيح، بيروت، دار إحياء التراث، ج٥، ص ٦٣٧.
- الحلي، كشف اليقين، ص ٥٧، الأربلي، كشف الغُمَّة، بيروت، دار الكتاب الإسلامي، ج١، ص ١١٢، الهندي، كنز العمال، ج١٣، ص ١٤٨، القندوزي، ينابيع المودة، بيروت، الأعلمي، ص٧٠.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج١٠، ص ٧٨.

كتاب الله وعترتي أهل بيتي (ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً) ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[١].

مَنْ ربُّك؟ ما دينُك؟ من نبيُّك؟ من إمامُك؟

أربعة أسئلة عقائدية يواجهها الإنسان في قبره، فإذا نجح في الامتحان يُقال له كما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام: نم نومة لا حلم فيها، نومة العروس، ثم يُفتح له باب إلى الجنة، فيدخل عليه من روّحها وريحانها[٢].

(١) الطبري، المسترشد، تحقيق المحمودي، قم، مؤسّسة الثقافة الإسلامية، ص ٥٦٠، انظر: كتاب «حديث الثقلين» الذي طبع في القاهرة من قبل دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، وقد جمع فيه أسانيد هذا الحديث في كتب أهل السنّة.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ص٢٦٣.

المنجيات من المساءلة

يمكن الحديث عن المنجيات من مساءلة منكر ونكير ضمن العناوين التالية:

أ- أعمال المؤمنين لأجل الميْت

دعت الشريعة الغرَّاء أن يقوم المؤمنون بجملة من الأعمال لتخفف أو تزيل عن الميت أهوال الموت والقبر التي منها مساءلة منكر ونكير، من هنا كان امتثال الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري لمَّا مات ولده إذ وقف على قبره، ومسحه بيده وقال:

«رحمك الله يا ذر، والله إنك كنت بي لباراً، ولقد قُبضت وإني عنك لراضٍ، والله ما بي فقدك، وما عليَّ من غضاضة، ومالي إلى أمر رسول الله من حاجة، ولولا هول المطَّلع لسرني أن أكون مكانك، ولقد شغلني الحزن لك من الحزن عليك، والله ما بكيت لك، ولكن بكيت عليك، فليت شعري ما قلت وما قيل لك؟

اللهم إني قد وهبت له ما افترضت عليه من حقي، فهب له ما افترضت عليه من حقك، فإنك أحق بالجود والكرم»[(١)].

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٢٢، ص٤٣٥.

فالملاحظ أنّ أبا ذر (رض) يتفاعل بعد هذه الوفاة المحزنة بما يعود في النفع على ولده الذي مات، فهو كما عبَّر، قد شغله الحزن له عن الحزن عليه، أي كان مشغولاً بالعبادات والطاعات النافعة له مما حال بينه وبين الحزن على فراقه.

وهذا الأمر هو الذي ينبغي للمؤمنين المحبين للميت أن يفعلوه بأن ينشغلوا بالأعمال التي تنفعه في آخرته، ومنها الأعمال التي تنجيه من هول مساءلة منكر ونكير والتي منها:

١- تلقين الميت

أكّدت الشريعة الغرَّاء على تلقين الميت لا سيّما الشهادتين والإقرار بالأئمة الاثني عشر، وقد ورد استحباب هذا التلقين في ثلاثة موارد[١]:

الأول: حال الاحتضار.

الثاني: عند وضعه في القبر، وفي آداب هذا التلقين ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**يُجعل له وسادة من تراب، ويجعل خلف ظهره مدرة لئلا يستلقي، ويُحل عقد كفنه كلها، ويكشف عن وجهه، ثم يُدعى له ويقال: اللهم عبدك وابن عبدك (و) ابن أمتك، نزل بك وأنت خير منزول به، اللهم أفسح له في قبره، ولقنه حجته، وألحقه بنبيه، وقه شر منكر ونكير. ثم تدخل يدك**

(١) الإمام الخميني، تحرير الوسيلة، ج١ ص ٦١.

اليمنى تحت منكبه الأيمن وتضع يدك اليسرى على منكبه الأيسر وتحركه تحريكاً شديداً، وتقول: يا فلان بن فلان، الله ربك، ومحمد نبيك، والاسلام دينك، وعلي وليك وإمامك، - وتسمي الأئمة عليهم السلام واحداً واحداً إلى آخرهم - أئمتك أئمة هدى أبرار، ثم تعيد عليه التلقين مرة أخرى، وإذا وضعت عليه اللبن فقل: «اللهم ارحم غربته، وصل وحدته، وآنس وحشته، وآمن روعته، وأسكن إليه من رحمتك رحمة يستغني بها عن رحمة من سواك، واحشره مع من كان يتولاه»[1].

وقد ورد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قام بنفسه بتلقين السيدة فاطمة بنت أسد مع جملة من الأعمال اللافتة فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«لما ماتت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين، جاء علي إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبا الحسن مالك؟ قال: أمي ماتت، فقال النبي صلى الله عليه وآله: وأمي والله، ثم بكى، وقال: وأماه، ثم قال لعلي عليه السلام: هذا قميصي فكفنها فيه، وهذا ردائي فكفنها فيه، فإذا فرغتم فأذنوني، فلما أُخرجت صلى عليها النبي صلى الله عليه وآله صلاة لم يصلِّ قبلها ولا بعدها على أحد مثلها، ثم نزل إلى قبرها فاضطجع فيه... وطالت مناجاته في القبر، فلما خرج قيل: يا

---

(١) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، تعليق محمد جعفر شمس الدين، (لا.ط)، بيروت، دار التعارف، ١٩٩٠ ج١، ص ١٨٠.

رسول الله لقد صنعت بها شيئاً في تكفينك إياها ثيابك، ودخولك في قبرها، وطول مناجاتك، وطول صلاتك، ما رأيناك صنعته بأحد قبلها، قال: أمّا تكفيني إياها فإني لمّا قلت لها: يعرى الناس يوم يحشرون من قبورهم، فصاحت وقالت واسوأتاه، فلبَّستها ثيابي، وسألت الله في صلاتي عليها أن لا يبلي أكفانها حتى تدخل الجنة فأجابني إلى ذلك، وأما دخولي في قبرها فإني لما قلت لها يوماً: إنّ الميت إذا أُدخل قبره وانصرف الناس عنه دخل عليه ملكان منكر ونكير فيسألانه، فقالت: واغوثاه بالله، فما زلت أسأل ربي في قبرها حتى فُتح لها باب من قبرها إلى الجنة فصار روضة من رياض الجنة»[1].

وفي رواية أنّ الناس سمعوا رسول الله ﷺ يقول لفاطمة عليها السلام وهي في القبر: «**ابنك، ابنك، لا جعفر، ولا عقيل، ابنك، ابنك علي ابن أبي طالب**»، وحينما سألوه عن معنى ذلك أجاب ﷺ «**أما قولي لها ابنك، ابنك، لا جعفر، ولا عقيل، فإنها لما نزل عليها الملكان وسألاها، عن ربها قالت: الله ربي، قالا لها: من نبيك، قالت: محمد نبيِّي، قالا: من وليك وإمامك؟ فاستحيت أن تقول: ولدي، فقلت لها: قولي ابنك علي بن أبي طالب**»[2].

---

(١) الصفار، محمد حسن، بصائر الدرجات، ص٣٠٧، محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٦، ص٢٣٢.

(٢) النقدي، جعفر، الانوار العلوية، ط٢، النجف الاشرف، المكتبة الحيدرية ١٩٦٢، ص١٤.

الثالث: بعد الدفن

فقد ورد أنه يُستحبّ بعد دفن الميت أن يبقى أقرب ذويه عند القبر بعد أن ينصرف الناس فيجلس ناحية الرأس ويلقنه العقائد بصوت عال وقد رُوي أنّ الميت إذا لُقن بهذه الطريقة قال منكر ونكير: انصرف بنا فقد لُقّن هذا حجّته.. فينصرفان.. ولا يسألانه[1].

ب- أعمال المؤمن في حياته

فقد ورد أنّ بعض الأعمال التي يقوم بها الإنسان تنفعه في دفع هول منكر ونكير منها:

١- إحياء ليلة القدر الكبرى

فعن الإمام الباقر عليه السلام: **«من أحيا ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان، وصلّى فيها مائة ركعة وسّع الله عليه معيشته، في الدنيا وكفاه أمر من يعاديه، وأعاذه من الغرق والهدم والسرق ومن شر السباع، ودفع عنه هول منكر ونكير، وخرج من قبره نور يتلألأ لأهل الجمع، ويُعطى كتابه بيمينه، ويُكتب له براءة من النار، وجواز على الصراط، وأمان من العذاب، ويُدخل الجنة بغير حساب، ويُجعل فيها من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً»**[2].

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، فروع الكافي، ج٣، ص٢٠١.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٥، ص ١٦٨.

٢- الصلاة والزكاة والبر والصبر والحج والولاية

فعن الإمام الصادق عليه السلام: **«إذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره، والبر مطلٌ عليه، .. فيتنحى الصبر ناحية، فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته قال الصبر للصلاة والزكاة: دونكما صاحبكما فإن عجزتما عنه فأنا دونه»**[١].

ولعل المراد من الصبر الصوم بلحاظ تفسير الصبر في قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[٢] بالصوم.

وفي الصوم خصوصية لبعض مصاديقه كصوم تسعة أيام من شهر شعبان فقد روى الشيخ الصدوق في أثر ذلك بأنّ من صامها **«عطف عليه منكر ونكير عندما يسألانه»**[٣].

وعلى كلٍّ فإنّ للصلاة والصوم والزكاة والبرّ بالإخوان، وكذلك الحجّ الآثار النورانية في قبر المؤمن والذي لا يفضلها في النور إلا الولاية لمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله كما ورد ذلك عن أحد الإمامين الباقر والصادق في قوله:

«إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستُّ صور، فيهن

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، فروع الكافي، ج٣، ص٢٤٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٥.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٤، ص٦٩.

صورة أحسنهن وجهاً، وأبهاهن هيئة، وأطيبهن ريحاً، وأنظفهن صورة. قال: فتقف صورة عن يمينه، وأخرى عن يساره، وأخرى بين يديه، وأخرى خلفه، وأخرى عند رجليه. وتقف التي هي أحسنهن فوق رأسه. فإن أوتي عن يمينه منعته التي عن يمينه، ثم كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست. قال: فتقول أحسنهن صورة: ومن أنتم جزاكم الله عني خيراً؟ فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاة. وتقول التي عن يساره: أنا الزكاة. وتقول التي بين يديه: أنا الصيام. وتقول التي خلفه: أنا الحج والعمرة. وتقول التي عند رجليه: أنا بر من وصلَ من إخوانه. ثم يقلن: من أنتِ؟ فأنتِ أحسننا وجهاً وأطيبنا ريحاً، وأبهانا هيئة. فتقول: أنا الولاية لآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين»[1].

بل ورد أنّ أكثر العناوين السابقة هي مورد للمساءلة في القبر، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**يُسأل الميت في قبره عن خمس خصال: عن صلاته وزكاته وحجه وصيامه وولايته إيانا أهل البيت، فتقول الولاية من جانب القبر للأربع: ما دخل فيكن من نقص فعليَّ تمامه**»[2].

(١) القمي، عباس، منازل الآخرة، ص ٦٣.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، فروع الكافي، ج٣، ص٢٤١.

ج- مكان الدفن

ورد أنّ من خواص تربة النجف الأشرف - إضافة إلى ما تقدّم في إنجائها من ضغطة القبر- إعفاء المدفون فيها من حساب منكر ونكير.

وقد سطّر بعض الشعراء هذا المضمون في أشعارهم كما في قول الشاعر:

إذا متّ فادفنّي إلى جنب حيدرٍ أبي شبّر أكرم به وشبير

فلست أخاف النار عند جواره ولا أتقي من منكر ونكير[١]

---

(١) القمي، عباس، منازل الآخرة، ص ٦٥.

أحياء البرزخ

تحدثنا عن مراحل ومنازل يتعرض لها الإنسان منذ إطلالة ملك الموت عليه من العديلة، وحضور الأولياء، إلى قبض الروح، إلى ضغطة القبر، ومساءلة منكر ونكير، لكن يبقى السؤال عما بعد هذه المراحل، فهل تنتهي حياة الإنسان في هذه المرحلة وتسْبُت إلى يوم القيامة أم أنها تستمر؟

الجواب نجده في القرآن الكريم الذي يعرض لنا نوعين من الناس تستمر حياتُهم، في عالم ما بعد الموت وقبل يوم القيامة:

الأول: عباد الرحمن

أ- قال تعالى ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ، لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴾[1].

في تفسير علي بن إبراهيم: ذلك في جنات الدنيا قبل القيامة، والدليل على ذلك قوله «بكرة وعشياً، **فالبكرة والعشي لا يكونان في الآخرة في جنات الخلد، وإنما يكون الغداة والعشي في جنات**

---

(١) سورة مريم، الآيتان: ٦١، ٦٢.

الدنيا التي تنتقل إليها أرواح المؤمنين وتطلع فيها الشمس والقمر».

ب- ومن بين هؤلاء العباد خصَّ الله تعالى الشهداء بحديثه عن حياتهم المستمرة المتفاعلة بعد الموت، إذ يقول تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، فهذه الآيات توضح الحياة الفاعلة المتفاعلة للشهداء فهم «يرزقون»، وصيغة المضارع تدل على الاستمرار، وهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم، بل يستبشرون بنعمة قادمة من الله تعالى وفضل منه، وهذا دليل واضح على الحياة في عالم ما بعد القبر.

ج- ومن بين هؤلاء الشهداء خصَّ الله تعالى الشهيد حبيب النجار – حسب المشهور- بذكر قصة حياته بعد الموت فقال:»وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ * ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ * إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ * قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ

---

(١) سورة آل عمران، الآيات ١٦٩-١٧١.

قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ * ۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ * إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾[1]، فقوله تعالى «قيل ادخل الجنة» راجع إلى ما بعد استشهاده مباشرة، وليس بلحاظ يوم القيامة، بدليل أنّ الله تعالى ذكر ما يحدث لهم يوم القيامة بعدما قيل له «ادخل الجنة» وذلك بقوله عز وجل ﴿وما أنزلنا على قومه من بعده من جند...﴾ فكأنّ الله تعالى يقول لم نكن بحاجة إلى جند من السماء لإهلاك قومه، بل كفتهم صيحة واحدة، فإذا هم خامدون، إذاً الآية تخبر عن دخوله الجنة فور استشهاده وهذا لا يكون إلا بوجود جنة البرزخ التي يأتي الحديث عنها.

الثاني: الظالمون

أ- قال الله تعالى عن الظالمين من آل فرعون، ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ * ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾[2]، فقد سئل الإمام الصادقعليه السلام عن تفسير هذه الآية الكريمة فقال عليه السلام: «**ذلك في الدنيا قبل القيامة، وذلك لأنّ في القيامة لا يكون غدو ولا عشي، لأنّ الغدو والعشي إنما يكونان في الشمس والقمر وليس في جنان الله ونيرانها شمس ولا قمر**»[3].

---

(١) سورة يس، الآيات ٢٠-٢٩.

(٢) سورة غافر، الآيتان: ٤٥-٤٦.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ص٢٨٥.

ومما يؤكد هذا المعنى ذيل الآية التي تتحدث عن كون عذاب يوم القيامة أشد من ذلك العذاب البرزخي، وهو قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[١].

ب - كما تحدث الله تعالى عن مصير الظالمين بقوله: ﴿... وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[٢].

فالذي يظهر من الآية أنّ عذاب الهون يكون بعد إخراج الأنفس مباشرة.

ج - وفي نفس إطار الآية السابقة ورد قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[٣].

إذاً هناك نعيم وعذاب بعد الموت، وقبل يوم القيامة، وعالم هذا النعيم وذلك العذاب هو المعبَّر عنه بالبرزخ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٤].

---

(١) سورة غافر، الآية ٤٦.
(٢) سورة الأنعام، الآية ٩٣.
(٣) سورة الأنفال، الآية ٥٠.
(٤) سورة المؤمنون، الآيتان ٩٩-١٠٠.

وقد ورد عن الإمـام الصادق عليه السلام «... **لكني والله أتخوّف عليكم في البرزخ.. سأله الراوي: وما البرزخ؟ قال** عليه السلام **: القبر منذ حين صورته إلى يوم القيامة**»[١].

من يحيا في البرزخ؟

مرّ معنا بعض الروايات التي تخصّص من يُسأل في قبره بصنفين من الناس: من محض الإيمان ومن محض الكفر، كرواية عبد الله بن سنان عن الإمام الصادق عليه السلام : «**إنما يُسأل في قبره من محض الإيمان محضاً، ومن محض الكفر محضاً، وأما ما سوى ذلك فيُلهى عنهم**»[٢].

إلا أنّ الروايات التي تحدثت عن عذاب القبر ونعيمه بشكل عام لم تلحظ هذا التخصيص بل هي مطلقة تشمل جميع المؤمنين والفاسقين من قبيل ما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام : «**إنَّ القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران**»[٣]، وما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام : «**إنَّ أرواح المؤمنين لفي شجرة من الجنة، يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها، ويقولون: ربّنا أقم الساعة لنا، وأنجز لنا ما وعدتنا، وألحق آخرنا بأولنا**»[٤].

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، فروع الكافي ج ٣، ص٢٤٢.
(٢) المصدر السابق، ج٣، ص٢٣٥.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ص٢١٤.
(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، فروع الكافي ج٣، ص٢٤٤.

وما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ الأرواح في صفة الأجساد في شجرة في الجنة، تعارف وتساءل، فإذا قدمت الروح على الأرواح يقول: دعوها؛ فإنها قد أفلتت من هول عظيم، ثم يسألونها: ما فعل فلان؟ وما فعل فلان؟ فإن قالت لهم: تركته حيّاً ارتجوه، وإن قالت لهم: هلك، قالوا قد هوى، هوى**»(١).

محاولة للتوفيق

قد يقول البعض إنّ الجمع بين الطائفتين من الروايات يتمّ من خلال تقييد الطائفة الثانية المطلقة بالأولى والنتيجة أن من يحيا في عالم البرزخ هم من محض الإيمان ومن محض الكفر.

والشاهد على هذا الجمع العديد من الآيات القرآنية التي تصرّح بأنّ الكثير من الناس يوم القيامة يتخيّلون عدم مرور زمن طويل عليهم وذلك من قبيل الآيات التالية:

١- ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا * يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا * نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾(٢).

٢- ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ * قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٣).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة طه، الآيات: ١٠٢-١٠٤.

(٣) سورة المؤمنون، الآيات: ١١٢-١١٤.

٣- ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾(١).

٤- ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا * يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٢).

فهذه الآيات واضحة أنهم في سبات، لم يثقلهم عذاب ولم يذلهم هوان؛ لذا لم يشعروا بمرور الزمن الطويل، فحالهم كحال أصحاب الكهف ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾(٣).

نقد المحاولة

إلا أنّ هذا الشاهد لا يصلح للتوفيق بين الطائفتين من الروايات، لأنّ حملها على أساس أنّ هؤلاء الكفار والمجرمين

---

(١) سورة الروم، الآيات: ٥٥-٥٧.

(٢) سورة الإسراء، الآيات: ٤٩-٥٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

كانوا في سبات دون عذاب يتنافى مع ما ورد في تعذيب آل فرعون، وعليه فالظاهر أنّ تلك الآيات الدالة على حالة السبات وعدم العذاب ليست ناظرة إلى عالم البرزخ، بل النظر فيها إلى ما بين النفختين المتعلقتين بيوم القيامة، واللتين عبَّر الله تعالى عنهما بقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[1].

فالذي يظهر من إطلاق هذه الآية أنّ الصعق الذي يحصل على أساس النفخة الأولى يشمل كل من في السماوات والأرض، بمن فيهم أهل البرزخ، وهذا ما أفادته الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام حينما سئل: افتتلاشى الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باق؟ قال عليه السلام: «**بل هو باق إلى وقت يُنفخ في الصور، فعند ذلك تبطل الأشياء، وتفنى فلا حس ولا محسوس، ثم أُعيدت الأشياء كما بدأها مدبّرها، وذلك أربعمئة سنة يسبت فيها الخلق، وذلك بين النفختين**»[2].

الجواب الصحيح

يمكن الجمع بين الطائفتين السابقتين عبر تفسير معنى الإلهاء (يُلهى عنهم)، فلو فسرناه بمعنى فقدان الإحساس بالحياة

(١) سورة الزمر، الآية ٦٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ص٢١٧.

البرزخية وعدم التعرض للثواب والعقاب لوقع التعارض بين الطائفتين.

ولكن يمكن تفسير الإلهاء بمعنى آخر نفهمه من خلال رواية صحيحة السند رواها ضريس الكناسي عن الإمام الباقر عليه السلام تصلح كشاهد للجمع بين الطائفتين وهي: قلت له: جعلت فداك، ما حال الموحّدين المقرّين بنبوة محمد صلى الله عليه وآله من المسلمين المذنبين الذين يموتون وليس لهم إمام ولا يعرفون ولايتكم؟ فقال عليه السلام: **«أما هؤلاء فإنهم في حفرهم لا يخرجون منها، فمن كان له عمل صالح، ولم يظهر منه عداوة، فإنه يخدّ له خدّاً إلى الجنة التي خلقها بالمغرب، فيدخل عليه الرَوْح في حفرته إلى يوم القيامة، حتى يلقى الله فيحاسبه بحسناته وسيئاته، فإما إلى الجنة وإما إلى النار، فهؤلاء الموقوفون لأمر الله، وكذلك يفعل بالمستضعفين والبله والأطفال وأولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم...»**[(١)].

فهذه الرواية تصلح لتفسير الذين «**يلهى عنهم**» بما عُبِّر عنه في هذه الرواية بـ «**هؤلاء الموقوفون لأمر الله**»، وعليه لا يكون المقصود بالإلهاء عنهم نفي إحساسهم بالحالة البرزخية، بل المقصود هو تركهم من دون مساءلة من ناحية، ومن دون إخراج الروح من القبر إلى جنة البرزخ أو نار البرزخ من ناحية أخرى، بل

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ص٢٨٦.

يدخل عليهم رَوْح في حفرتهم من جنة البرزخ، ويُتركون هكذا إلى يوم القيامة[1].

والنتيجة: أنّ حياة البرزخ هي عامة لجميع الناس، إلا أنّ المساءلة في القبر وإخراج الروح إلى جنة البرزخ أو جهنم البرزخ ليسا أمراً عاماً لكل الناس، بل لمن محض الإيمان ومحض الكفر.

(١) أنظر: الحائري، كاظم، أصول الدين، ط١، قم، دار التفسير، ١٤٢٤هـ، ص ٢١٦-٢٢٥.

مصير الأرواح في البرزخ

البدن المثالي

يُستفاد من بعض الروايات أنّ الله تعالى يضع روح الإنسان في عالم البرزخ في قالب مثالي يشبه القالب المادي، وعليه يكون للإنسان في ذلك العالم روح مجردة، لكنّ تجردها ليس كاملاً بل يكون لها حظ من المادية، وهذا ما يفسّر أخذها حيّزاً من المكان وتحرّكها من مكان إلى آخر، وما إلى ذلك، ويكون الثواب العقاب عن طريق ذلك القالب المثالي.

مما يدل على هذا البدن المثالي أو القالب البرزخي:

أ- صحيحة أبي ولاد الحناط، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: قلت له: جُعلت فداك، يروون أنّ أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش، فقال عليه السلام «**لا، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير، ولكن في أبدان كأبدانهم**»[1].

ب- وفي معتبرة أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام، إنا

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، فروع الكافي، ج٣ ص ٢٤٤.

نتحدث عن أرواح المؤمنين أنها في حواصل طيور خضر ترعى في الجنة، وتأوي إلى قناديل تحت العرش، فقال:«**لا، ما هي في حواصل طير، قلت: فأين هي؟ قال: في روضة كهيئة الأجساد في الجنة**»[١].

ج- وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا قبضه الله صيّر تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا، فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا**»[٢].

جنة البرزخ

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**ما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلا قيل لروحه: إلحقي بوادي السلام، وإنها لبقعة في جنة عدن**»[٣].

وقد ورد أنّ أحدهم قال للإمام الصادق عليه السلام: إنّ أخي ببغداد وأخاف أن يموت بها، فأجابه عليه السلام: «**ما تبالي حيثما مات، أما إنه لا يبقى مؤمن في شرق الأرض ولا غربها إلا حشر الله روحه إلى وادي السلام**».

---

(١) المصدر السابق ج٢٣ ص ٢٤٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ج ٣، ص٢٤٣.

فسأله: وأين وادي السلام؟ قال عليه السلام: «**ظهر الكوفة، أما إنني كأني بهم حلق حلق قعود يتحدثون**»[١].

ومن أسماء تلك البقعة المباركة «**الغري**»، كما أنّ المدينة التي يقع فيها وادي السلام هي «**النجف الأشرف**».

وقد جاء في الأخبار المروية عن أهل البيت عليهم السلام أنه دفن في هذه البقعة المباركة الكثير من الأنبياء، والأوصياء، منهم آدم ونوح وهود وصالح.

فقد ورد عن المفضل الجعفي: «**دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له إني أشتاق إلى الغري، فقال عليه السلام: فما شوقك إليه؟! فقلت له: إني أحب أن أزور أمير المؤمنين عليه السلام فقال عليه السلام: هل تعرف فضل زيارته؟ فقلت: لا، يا بن رسول الله، إلا أن تعرفني ذلك قال عليه السلام: فإذا أردت أن تزور قبر أمير المؤمنين عليه السلام، فاعلم إنك زائر عظام آدم وبدن نوح وجسد علي بن أبي طالب عليه السلام، فقلت: إن آدم عليه السلام هبط بسرانديب في مطلع الشمس، وزعموا أنَ عظامه في بيت الله الحرام، فكيف صارت عظامه بالكوفة؟ قال عليه السلام: إنّ الله عز وجل أوحى إلى نوح، وهو في السفينة- أن يطوف بالبيت أسبوعاً، فطاف بالبيت، كما أوحى إليه، ثم نزل في الماء إلى ركبتيه فاستخرج تابوتاً فيه عظام آدم عليه السلام، فحمله في جوف السفينة، ثم طاف ما شاء الله أن يطوف، ثم**

---

(١) المصدر السابق.

ورد إلى باب الكوفة في وسط مسجدها، ففيها، قال الله تعالى للأرض «ابلعي ماءك»، فبلعت ماءها من مسجد الكوفة كما بدأ الماء منه، وتفرَّق الجمع الذي كان مع نوح في السفينة، فأخذ نوح عليه السلام التابوت فدفنه في الغري، وهو قطعة من الجبل الذي كلَّم الله عليه موسى تكليماً، وقدس عليه عيسى تقديساً واتخذ عليه إبراهيم خليلاً، واتخذ محمداً عليه حبيباً وجعله للنبيين مسكناً، والله ما سكن فيه بعد أبويه الطيبين آدم ونوح أكرم من أمير المؤمنين علي عليه السلام، وإذا زرت جانب النجف، فزر عظام آدم وبدن نوح وجسم علي بن أبي طالب عليه السلام فإنك زائرٌ الأنبياء الأولين ومحمداً خاتم النبيين وعلياً سيد الوصيين، فإنّ زائره تُفتح له أبواب السماء عند دعوته فلا تكن عن الخير نوَّاماً»[1].

وجاء في التهذيب عن الإمام علي عليه السلام أنه قال لمّا ضربه ابن ملجم: **«فإذا مت فادفنوني في هذا الظهر في قبر أخوي هود وصالح»**[2].

وقد ورد في كتب الزيارات لأمير المؤمنين عليه السلام أننا نخاطبه قائلين:

«السلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح، وعلى جاريك هود وصالح ورحمة الله وبركاته».

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٧ ص٢٥٩.

(٢) المصدر السابق، ج٩٧، ص٢٣٩.

اهتمام أمير المؤمنين عليه السلام بالنجف

يستفاد من الروايات أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان كثير الاهتمام بالغري، فقد ورد أنه زارها ذات يوم مع الأصبغ بن نباتة الذي حدثنا عما جرى قائلاً: إن أمير المؤمنين خرج من الكوفة ومرّ حتى أتى الغريين، فجازه فلحقناه وهو مستلق على الأرض بجسده، ليس تحته ثوب، فقال له قنبر: يا أمير المؤمنين، ألا أبسط ثوبي تحتك؟ قال: لا، هل هي إلا تربة مؤمن أو مزاحمته في مجلسه، قال الأصبغ لتربة مؤمن قد عرفناها كانت أو تكون، فما مزاحمته في مجلسه؟ فقال عليه السلام: «**يا بن نباتة، لو كشف لكم لرأيتم أرواح المؤمنين في هذا الظهر حلقاً يتزاورون ويتحدثون، إنّ في هذا الظهر روح كل مؤمن**»[1].

كما ورد أنه عليه السلام نظر ذات مرة إلى الكوفة (والنجف ظهرها) وقال: «**ما أحسن منظرك وأطيب قعرك، اللهم اجعل قبري بها**»[2].

بل رُوي عنه عليه السلام أنه كان إذا أراد الخلوة بنفسه أتى إلى طرف الغري، وذات مرة وبينما هو هناك، إذا برجل قد أقبل من البرية راكباً على ناقته وقدامه جنازة، فحين رأى علياً عليه السلام قصده حتى وصل إليه، فسلَّم عليه، فرد الأمير عليه السلام وقال له: من أين؟ قال:

(١) المصدر السابق، ج٦، ص٢٤٢.

(٢) المصدر السابق، ج٩٧، ص٢٣٢.

من اليمن، قال: وما هذه الجنازة التي معك؟ قال جنازة أبي لأدفنها في هذه الأرض فقال عليه السلام: لِمَ لا دفنته في أرضكم؟ قال: أوصى إلي بذلك، وقال: إنه يدفن هناك رجل يدخل في شفاعته مثل ربيع ومضر فقال عليه السلام: أتعرف ذلك الرجل؟ قال: لا، فقال عليه السلام: أنا والله ذلك الرجل»[1].

وعن أثر الدفن في جوار أمير المؤمنين كتب الفاضل ملا مهدي المعروف بالنراقي إلى العلامة آل بحر العلوم رحمه الله:

ألا قل لسكان أرض الغري   هنيئاً لكم في الجنان الخلود

أفيضوا علينا من الماء فيضاً   فنحن عطاشٌ وأنتم ورود

فأجابه العلامة رحمه الله:

ألا قل لمولى يرى من بعيد   ديار الحبيب بعين الشهود

لك الفضل من غائب شاهد   على حاضر غائب بالصدود

فنحن على الماء نشكو الظما   وفزتم على بعدكم بالورود[2]

والمقصود من البيت الثاني أنك وإن كنت غائباً عن أرض الغري ولكن كنت بحكم الحاضر لأنك تحب المجاورة (ومن أحب عمل قوم شاركهم).

---

(١) التميمي، محمد علي جعفر، مدينة النجف ص٩٥ (نقلاً عن مكتبة أهل البيت).

(٢) نفس المصدر ص٩٢

جهنم البرزخ

ورد أنّ ملك الروم سأل الإمام الحسن بن علي عن أرواح الكفار أين تجتمع؟

فأجاب عليه السلام: **«تجتمع في وادي حضر موت وراء مدينة اليمن»**[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: **«شرّ بئر في النار برهوت، وهو الذي فيه أرواح الكفار»**[٢].

وفي حديث آخر له عليه السلام: **«شر ماء على وجه الأرض ماء برهوت، وهو الذي بحضر موت يرد هام الكفار»**[٣].

وقد فسّر الهام بأنه جمع هامة، والمراد منها أرواح الكفار وأبدانهم المثالية[٤].

وعن الإمام الصادق عليه السلام ... **«إنّ عدونا إذا توفي صارت روحه إلى وادي برهوت فأُخلدت في عذابه، وأُطعمت من زقومه، وسُقيت من حميمه، فاستعيذوا بالله من ذلك الوادي»**[٥].

---

(١) شبر، عبد الله، تسلية الفؤاد، ص ١١٨.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، فروع الكافي ج٣ ص٢٤٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) شبر، عبد الله، تسلية الفؤاد، ص ١١٣.

(٥) الصفار، محمد حسن، بصائر الدرجات ص ٣٧٤.

أهل البرزخ يزورون أهليهم

يُستفاد من عدة روايات واردة عن أهل البيت عليهم السلام أنّ أهل البرزخ في قالبهم المثالي يزورون أهليهم، وإن كنا لا نحس بوصول شيء إلينا من عالمهم، فقد ورد في صحيحة حفص بن البختري عن الإمام الصادق عليه السلام، «**إنّ المؤمن ليزور أهله، فيُرى ما يحب ويُستر عنه ما يكره، وإنّ الكافر ليزور أهله فيُرى ما يكره ويُستر عنه ما يحب**»[١].

في أي يوم يزورون؟

ورد عن اسحاق بن عمار: قلت لأبي الحسن (أي الإمام الكاظم عليه السلام)، يزور المؤمن أهله؟ فقال، نعم: فقلت في كم؟، قال: «**على قدر فضائلهم، منهم من يزور في كل يوم، ومنهم من يزور في كل يومين، ومنهم من يزور في كل ثلاثة أيام (إلى أن قال) أدناهم منزلة يزور كل جمعة**»[٢].

في أية ساعة يزورون؟

عن الإمام الصادق: «**ما من مؤمن ولا كافر إلا وهو يأتي أهله عند زوال الشمس، فإذا رأى المؤمنُ أهله يعملون بالصالحات حمد الله على ذلك، وإذا رأى الكافر أهله يعملون بالصالحات كانت عليه حسرة**»[٣].

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، فروع الكافي ج٣، ص٢٣٠.
(٢) المصدر السابق، ج٣، ص٢٣١.
(٣) المصدر السابق ج٣، ص٢٣٠.

روافد عالم البرزخ

حينما يموت الإنسان ينقطع عمله ويتوقف كماله، فقد انتهى بموته وقت الزرع، وها هو يُقبل على وقت الحصاد، لكنّ الله تعالى برحمته جعل استثناء لتكامل الإنسان بعد الموت من خلال نوعين من الأعمال ترفده في قبره بروافد تنفعه رقيّاً وتكاملاً فيه وهما: آثار الميت في حياته، وهدايا المؤمنين له.

آثار الميت في حياته

ورد عن النبي الأكرمﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[١].

فالعلم كالكتاب الذي يتركه ينتفع به الآخرون.

والصدقة الجارية كالمسجد يساهم في بنائه.

أما الولد الصالح فهو كذلك الولد الذي غيّر مصير والده في عالم البرزخ، كما ورد في قصة نبي الله عيسى عليه السلام الذي مرَّ بقبر

---

(١) ورد الحديث بأكثر من صيغة (أنظر: الحائري، كاظم، أصول الدين، ص٣٢٢-٣٢٣).

يُعذَّب صاحبه، ثم مرَّ به من قابل فإذا به ليس يُعذَّب فقال: «**يا رب مررت بهذا القبر عام الأول فكان صاحبه يعذب، ثم مررت به العام فإذا هو ليس يعذب، فأوحى الله إليه: يا روح الله، أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً، وآوى يتيماً، فغفرت له بما فعله ابنه**»[١].

وقد ورد في الأحاديث أنّ الولد العاقّ بوالديه يمكن أن يتحول إلى بارٍّ بهما من خلال الأعمال التي يقوم بها لأجلهما بعد موتهما، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**يكون الرجل عاقاً لوالديه في حياتهما، فيصوم عنهما بعد موتهما، ويصلي عنهما، ويقضي عنهما الدين، فلا يزال كذلك حتى يكتب باراً بهما، وإنه ليكون باراً بهما في حياتهما، فإذا ماتا لا يقضي دينهما، ولا يبرّهما بوجهٍ من وجوه البر، فلا يزال كذلك حتى يُكتب عاقاً**»[٢].

وحول نفس مضمون الحديث النبوي السابق ورد عن معاوية بن عمار أنه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما يلحق الرجل بعد موته؟ فقال: «**سنّة يعمل بها بعد موته فيكون له مثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء، والصدقة الجارية تجري من بعده، والولد الطيّب يدعو لوالديه بعد موتهما، ويحجّ ويتصدّق ويعتق عنهما ويصلّي ويصوم عنهما، فقلت: أُشركهما في حجّتي؟ قال: نعم**»[٣].

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، فروع الكافي، ج٦، ص٣.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٤، ص٨٤.
(٣) الحائري، كاظم، أصول الدين، ص٢٣٢-٢٣٣.

ب- هدايا المؤمنين للميت

من رحمة الله تعالى للميت أنه فتح له رافداً من خلال الأعمال التي يهديها له أهل الإيمان، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه: **«أهدوا لموتاكم. فسألوا يا رسول الله، وما هدية الأموات؟ قال ﷺ الصدقة والدعاء، وقال ﷺ: إنّ أرواح المؤمنين تأتي كل جمعة إلى السماء الدنيا بحذاء دورهم وبيوتهم، ينادي كل واحد منهم بصوت حزين: يا أهلي، ويا ولدي، ويا أبي، ويا أمي، وأقربائي، أعطفوا علينا يرحمكم الله بالذي كان في أيدينا، والويل والحساب علينا، والمنفعة لغيرنا، وينادي كل واحد منهم إلى أقربائه: اعطفوا علينا بدرهم، برغيف، أو بكسوة، يكسكم الله من لباس الجنة».**

ثم بكى النبي ﷺ، وبكى أصحابه، فلم يستطع أن يتكلم من كثرة بكائه، ثم قال ﷺ: **«أولئك إخوانكم في الدين فصاروا تراباً رميماً بعد السرور والنعيم، فينادون بالويل والثبور على أنفسهم، يقولون: يا ويلنا، لو أنفقنا ما في أيدينا في طاعة الله ورضائه، ما كنا نحتاج إليكم، فيرجعون بحسرة وندامة وينادون: أسرعوا صدقة الأموات»**[١].

---

(١) النوري، حسين، مستدرك الوسائل، ج٢، ص٤٨٤.

وعن «لب اللباب» للراوندي:

إنّ الموتى يأتون في كل جمعة من شهر رمضان فيقفون وينادي كل واحد منهم بصوت حزين باكياً:

«يا أهلاه، ويا ولداه، ويا قرابتاه، إعطفوا علينا بشيء يرحمكم الله، واذكرونا ولا تنسونا بالدعاء، وارحموا علينا، وعلى غربتنا، فإنّا قد بقينا في سجن ضيق، وغمٍّ طويل وشدة، فارحمونا، ولا تبخلوا بالدعاء والصدقة لنا، لعلّ الله يرحمنا قبل أن تكونوا مثلنا، فواحسرتاه قد كنا قادرين مثل ما أنتم قادرون، فيا عباد الله، اسمعوا كلامنا ولا تنسونا، فإنكم ستعلمون غداً فإنّ الفضول التي في أيديكم كانت في أيدينا، فكنا لا ننفق في طاعة الله، ومنعنا عن الحق، فصار وبالاً علينا، ومنفعة لغيرنا، فاعطفوا علينا بدرهم أو رغيف أو بكسوة، ثم ينادون:

ما أسرع ما تبكون على أنفسكم، ولا ينفعكم كما نحن نبكي، ولا ينفعنا فاجتهدوا قبل أن تكونوا مثلنا»[١].

قال العلامة المجلسي في زاد المعاد: يجب أن لا يُنسى الأموات لأنهم عاجزون عن القيام بأعمال الخير.. وهم يأملون أن يصلهم شيء من أولادهم وأقاربهم وإخوانهم المؤمنين، وينتظرون ذلك بفارغ الصبر، خصوصاً في الدعاء في صلاة الليل، وبعد صلاة الفريضة، وفي المشاهد المشرفة، وينبغي تخصيص الأب والأم

---

(١) المصدر السابق، ج٢، ص١٦٣.

والاهتمام بالدعاء لهما والأعمال الصالحة عنهما أكثر من غيرهما[١].

سلام الله تعالى على الإمام الصادق عليه السلام الذي ورد أنه كان يصلي في كل ليلة لأولاده وفي كل يوم لأبويه ركعتين يقرأ بعد الحمد في الركعة الأولى «**إنا أنزلناه**»، وفي الركعة الثانية «**إنا أعطيناك الكوثر**» وهو الذي علّمنا أنّ من عمل من المسلمين عن ميتٍ عملاً صالحاً أضعف له أجره ونفع الله به الميت.

ثمار هدايا المؤمنين للميت

أ- رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ أحدهم سأله: يصلّى عن الميت؟ فقال، نعم حتى إنه ليكون في ضيق فيوسع الله عليه ذلك الضيق، ثم يُؤتى فيُقال له: خفف عنك هذا الضيق بصلاة فلان أخيك عنك، ثم سأله: فأشركُ بين رجلين في ركعتين؟ فقال عليه السلام، نعم، ثم قال: «**إنّ الميت ليفرح بالترحُّم عليه، والاستغفار له كما يفرح الحي بالهدية تُهدى إليه**»[٢].

ب- وعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، «**ما تصدقت لميت فيأخذها ملك الموت في طبق من نور ساطع، ضوؤها يبلغ سبع سماوات، ثم يقوم على شفير الخندق (أي القبر)، فينادي: السلام عليكم**

---

(١) القمي، عباس، منازل الآخرة، ص ٧٣.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج١، ص١٨٣.

يا أهل القبور، أهلكم أهدوا إليكم بهذه الهدية، فيأخذها ويدخل به في قبره، فتوسع عليه مضاجعه»[١].

ح- وفي الحديث النبوي الشريف: «**إذا تصدق الرجل بنية الميت أمر الله جبرئيل أن يحمل إلى قبره سبعين ألف ملك، في يد كل ملك طبق فيحملون إلى قبره ويقول: السلام عليك يا ولي الله، هذه هدية فلان بن فلان إليك، فيتلألأ قبره»**[٢].

عوائد الهدايا على الحيّ المُهدي

إضافة إلى تلك البركات والرحمات الربانية على الميت، فإنّ من يُهدي الموتى بأعمال الخير يثيبه الله تعالى ويجزيه بأفضل جزاء.

أ- فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**يدخل على الميت في قبره الصلاة والصوم والحج والصدقة والبر والدعاء، ويُكتب أجره للذي يفعله وللميت»**[٣].

ب- في حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من عمل من المسلمين عن ميت عملاً صالحاً أضعف له أجره، ونفع الله به الميت»**[٤].

---

(١) القمي، عباس، منازل الآخرة، ص٧٣.
(٢) المصدر السابق، ص٧٥.
(٣) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، ج١، ص١٨٥.
(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٨٨، ص٣١١.

ج- وعن النبي ﷺ: **«ألا من عطف لميت بصدقة فله عند الله من الأجر ويكون يوم القيامة في ظل عرش الله يوم لا ظلَّ إلا ظلُّ العرش»**(١)...

ختام الكلام

وختام الكلام بموعظة للإمام زين العابدين عليه السلام قال فيها: **«أيها الناس، اتقوا الله، واعلموا أنكم إليه تُرجَعون، فتجد كل نفس ما عملت في هذه الدنيا من خيرٍ مُحضَراً، وما عملت من سوء، تودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه. ويحك ابن آدم الغافل وليس بمغفول عنه، ابن آدم، إنّ أجلك أسرع شيء إليك، قد أقبل نحوك حثيثاً يطلبك ويوشك أن يدركك، وكأن قد أُوفيت أجلك، وقبض الملك روحك، وصرت إلى منزل وحيداً، فردّ إليك فيه روحك، واقتحم عليك فيه ملكاك: منكر ونكير لمساءلتك وشديد امتحانك، ألا وإنّ أول ما يسألانك عن ربك الذي كنت تعبده، وعن نبيك الذي أُرسل إليك، وعن دينك الذي كنت تدين به، وعن كتابك الذي كنت تتلوه، وعن إمامك الذي كنت تتولاه، ثم عن عمرك في ما أفنيته؟ ومالك من أين اكتسبته؟ وفي ما أتلفته؟ فخذ حذرك وانظر لنفسك، وأعدَّ للجواب قبل الامتحان والمساءلة والاختبار، فإن تك مؤمناً تقياً عارفاً بدينك متبعاً**

(١) القمي، عباس، منازل الآخرة ص ٧٣.

للصادقين موالياً لأولياء الله لقّاك الله حجتك، وأنطق لسانك بالصواب، فأحسنت الجواب، فبُشّرت بالجنة والرضوان من الله والخيرات الحسان، واستقبلتك الملائكة بالرَوْح والريحان، وإن لم تكن كذلك تلجلج لسانك، ودُحضت حجتك، وعميت عن الجواب، وبُشّرت بالنار، واستقبلتك ملائكة العذاب بنزل من حميم وتصلية جحيم[١]. فاعلم ابن آدم: أنّ من وراء هذا ما هو أعظم وأفظع وأوجع للقلوب يوم القيامة، ذلك يوم مجموع له الناس، وذلك يوم مشهود...»[٢].

هلّموا بنا نتابع الكتاب التالي: نداء الرجوع(يوم القيامة).

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحا ر الأنوار، ج٦: ص٢٢٣-٢٢٤.

(٢) المصدر السابق ج ٧٨: ص١٤٢-١٤٦.

المصادر والمراجع[1]*

١. القرآن الكريم

- أ -

٢. الحائري، كاظم، أصول الدين، ط١، قم، دار التفسير، ١٤٢٤هـ.

٣. الأمين، محسن، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، (لا، ط)، بيروت، دار التعارف، (لا، ت).

٤. الصدوق، محمد بن علي، آمالي الصدوق، ط٥، بيروت، الأعلمي، ١٩٨٠م.

٥. المطهري، مرتضى، الإمامة، ترجمة كسَّار، ط١، قم، منشورات أم القرى.

٦. القمي، عباس، الأنوار البهية، تعليق محمد كاظم الخراساني، (لا، ط)، قم، الرضي، ١٣٦٤ هـ. ش.

٧. النقدي، جعفر، الأنوار العلوية، ط٢، النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية ١٩٦٢م.

- ب -

٨. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، تصحيح محمد مهدي الموسوي الخرساني، (لا، ط)، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٩٦ هـ. ش.

(١) * الترتيب هجائي بحسب أسماء الكتب.

٩. الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات في فضائل آل محمد، تعليق ميرزا محسن التبريزي (لا.ط) قم، بصيرتي، ١٤٠٤هـ.

- ت -

١٠. الإمام الخميني، روح الله، تحرير الوسيلة، (لا، ط)، دمشق، سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ١٩٩٨م.

١١. أصفهاني، محمد مهدي، ترانيم الرحيل إلى العالم الآخر، تعريب زهراء يكانا، ط١، بيروت، دار الهادي، ٢٠٠٥م.

١٢. شبّر، عبد الله، تسلية الفؤاد في بيان الموت والمعاد، تحقيق علاء الدين الأعلمي، ط١، بيروت، الأعلمي، ١٩٩٥م.

١٣. الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، تحقيق حسن الخرسان، ط٣، بيروت، دار الأضواء.

- ث -

١٤. الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ط٢، قم، ١٣٦٨هـ.ش.

- ج -

١٥. الترمذي، الجامع الصحيح، بيروت، دار إحياء التراث.

- ح -

١٦. بركات، أكرم، حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة، ط ٤، بيروت، دار الصفوة، ٢٠٠٩.

١٧. الشيرازي، صدر الدين، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، (لا، ط)، طهران، دار المعارف الإسلامية، ١٣٧٨ هـ.

١٨. الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، (لا، ط)، بيروت، دار الفكر، (لا، ت).

- خ -

١٩. الصدوق، محمد بن علي، الخصال، تحقيق علي أكبر الغفاري، (لا، ط)، قم، جماعة المدرسين، ١٤٠٣ هـ.

- س -

٢٠. الجميلي، السيد، سكرات الموت، ط٢، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٢م.

- ش -

٢١. ابن سينا، الشفاء، مراجعة د. إبراهيم مدكور، (لا، ط)، مصر، الهيئة المصرية العامة للتأليف، (لا، ت).

- ع -

٢٢. الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع، ط١، بيروت، الأعلمي، ١٩٨٨.

- غ -

٢٣. الاميني، عبد الحسين، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، (لا، ط)، بيروت، دار الكتاب العربي.

- ف -

٢٤. الجويني، فرائد السمطين، تحقيق المحمودي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ.

٢٥. الحر العاملي، الفصول المهمة في أصول الأئمة، تحقيق محمد القائيني، ط١ ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٣.
٢٦. الكليني، محمد بن يعقوب، فروع الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، (لا، ط) ، بيروت، ١٩٨٥م، دار الأضواء.

- ك -

٢٧. الأربلي، كشف الغُمَّة، بيروت، دار الكتاب الإسلامي.
٢٨. الحلي، كشف اليقين، تحقيق علي آل كوثر، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ط١ ، قم.
٢٩. الهندي، علاء الدين المتقي، كنز العمال، (لا،ط) ، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ .

- ل -

٣٠. التوسيركاني، محمد نبي، لآلئ الأخبار، (لا، ط) ، طهران، جهان، (لا، ت) .

- م -

٣١. الشاهرودي، علي، مستدرك سفينة البحار، تحقيق حسن النمازي، (لا، ط) ، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٩هـ.
٣٢. النوري، حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط١ ، قم، ١٤٠٧هـ.
٣٣. الطبري، المسترشد، تحقيق المحمودي، قم، مؤسّسة الثقافة الإسلامية.
٣٤. الحكيم، محسن، مستمسك العروة الوثقى، ط٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٨.

٣٥. الكفعمي، تقي الدين ابراهيم، مصباح الكفعمي، (لا.ط)، قم، الرضا، (لا.ت).

٣٦. القمي، عباس، مفاتيح الجنان، ط٢، بيروت، الأعلمي.

٣٧. المقرّم، عبد الرزّاق، مقتل الحسين، ط٢، قم، دار الثقافة، ١٤١١هـ.

٣٨. الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، تعليق محمد جعفر شمس الدين، (لا.ط)، بيروت، دار التعارف، ١٩٩٠.

٣٩. القمي، عباس، منازل الآخرة والمطالب الفاخرة، ترجمة حسين كوراني، (لا، ط)، بيروت، دار التعارف، ١٩٩١م.

٤٠. الريشهري، محمدي، ميزان الحكمة، ط٢، قم، مكتب الإعلام الإسلامي،١٤١٢.

- ن -

٤١. الإمام علي، نهج البلاغة، إعداد الشريف الرضي، (لا، ط)، بيروت، دار التعارف، (لا، ت)، خطبة ٣٨.

٤٢. المحمودي، محمد باقر، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ط١، بيروت، دار التعارف، ١٩٧٧م.

- و -

٤٣. الحر العاملي، وسائل الشيعة، تحقيق عبد الرحيم الشيرازي، ط٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

- ي -

٤٤. القندوزي، سليمان، ينابيع المودة، بيروت، الأعلمي.

الفهرس (١)

(١) القمي، عباس، الأنوار البهية، تعليق محمد كاظم الخراساني، (لا، ط)، قم، الرضي، ١٣٦٤هـ، ش، ص٢٤٤.

صدر للمؤلف

١- حقيقة الجفر عند الشيعة، دار الصفوة.

٢- حقيقة مصحف فاطمة عند الشيعة، دار الصفوة. حائز على جائزة أفضل كتاب لعام ٢٠٠٣م، في مهرجان الولاية الدولي في إيران.

٣- ولاية الفقيه، بين البداهة والاختلاف، دار الصفوة. رسالة ماجستير حازت على درجة ممتاز، مع التنويه والتوصية بالنشر.

٤- دروس في علم الدراية، دار الصفوة. معتمد في المناهج الدراسية الحوزوية.

٥- ميزان السير والسلوك، بيت السراج للثقافة والنشر.

٦- كيف تجعل ولدك صالحاً؟ بيت السراج للثقافة والنشر.

٧- كيف ترجع كما ولدتك أمك؟ بيت السراج للثقافة والنشر.

٨- لماذا نقلد؟ كيف؟ ومن؟ بيت السراج للثقافة والنشر.

مترجم إلى الإنكليزية والفرنيسة (مركز نون للطبع والترجمة):

Why do we imitate? how? and whom?
Pourquoi imiter? (suivre un concept) Comment? Et qui?

٩- وليالٍ عشر (من وحي عاشوراء)، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٠- نداء الرحيل (الموت والبرزخ)، بيت السراج للثقافة والنشر.

١١- دليل العروسين بين الخطوبة والزفاف، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٢- برقية الحسين عليه السلام، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٣- ٣ حقوق لحياة زوجية ناجحة، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٤- سعادة الزوجين في ٣ كلمات، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٥- هكذا تكون سعيداً، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٦- وأتممناها بعشر (من وحي عاشوراء)، بيت السراج للثقافة والنشر.

١٧- المسائل المصطفاة في أحكام الطهارة والصلاة.

١٨- أحكام النساء.

١٩- التبليغ من وحي التجربة.

٢٠- Paulo em busca da verdade («باولو» الباحث عن الحقيقة - باللغة البرتغالية).

٢١- ISLAM NO ORACAO A«Assalat» (الصلاة في الإسلام باللغة البرتغالية).

٢٢- خيوط القبعة، دار الصفوة.

٢٣- حائك القبعة (الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين)، دار الصفوة.